December 2021
Vol 3 Issue 3

Miskawayh under the state of Beni Buyya

Emran AL-kaledy

wamohammad460@yahoo.com

Issn print: 2710-3005. Issn online: 2706 – 8455, Impact Factor: 1.705, Orcid: 000- 0003-4452-9929, DOI 10.5281/zenodo.10799814, PP 149-192.

Abstract: The importance of ethics and education is not limited to the individual, but extends beyond it to encompass the entire society. Therefore, we find among the topics of philosophy a branch that studies and researches ethics because of its great impact on the life of the individual and society. It is a set of moral rules and principles that relate to the system of individuals and groups. This philosophy is concerned with standards of good behavior. For the individual and therefore for society, education falls under the umbrella of philosophy, as it is its practical application as it benefits from various philosophical theories in the field of educational sciences and pedagogy.

Our Islamic heritage is full of many Muslim philosophers and thinkers who were interested in the subject of ethics and education, such as Al-Kindi, Al-Farabi, Al-Ghazali, and others. Whether those of them were influenced by the Greeks or those who were not, they linked the subject of ethics and education to religion. Among them were those who tried to reconcile Greek philosophy with the Islamic religion, such as Al-Farabi in His philosophy, and some of them derived their views from Islamic law.

Keywords: Miskawayh, Abbasid era, Bani Buyeh state.

مسكويه في ظل دولة بني بويه

الملخص: أهمية الأخلاق والتربية لا تقتصر على الفرد بل تتعداه لتعم المجتمع كله، ولذلك نجد من مباحث الفلسفة فرع يدرس الأخلاق ويبحث فيها لما لها من أثر كبير في حياة الفرد والمجتمع فهي مجموعة القواعد والمبادئ الأخلاقية التي تتعلق بنظام الأفراد والجماعات وتهتم هذه الفلسفة بمعايير السلوك الصالح للفرد بالتالي للمجتمع، والتربية تنطوي تحت مظلة الفلسفة فهي التطبيق العملي لها حيث تستفيد من النظريات الفلسفية المختلفة في مجال العلوم التربوية والبيداغوجيا.

يزخر تراثنا الإسلامي بالعديد من الفلاسفة والمفكرون المسلمون الذين اهتموا بموضوع الأخلاق و التربية مثل الكندي، والفارابي، والغزالي، وغيرهم، وسواء من تأثر من هؤلاء بالإغريق أو من لم يتأثر

فقد ربطوا موضوع الأخلاق والتربية بالدين منهم من حاول التوفيق بين الفلسفة الإغريقية والدين الإسلامي كالفارابي في فلسفته، ومنهم من استسقى آرائه من الشريعة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: مسكويه، العصر العباسي، دولة بني بويه.

المقدمة

ستعالج هذه الدراسة حياة مسكويه والمراحل التي تعاقبت عليه وتقديم سيرته، اسمه لقبه وولادته والوظائف التي عمل بها في ظل دولة بني بويه، والثقافة التي تأثر بها ومؤلفاته التي تأثرت بالعصر الذي عاش فيه أي القرن الرابع الذي عاش امتاز بخصوصية تاريخية إذ هو يعدُ أوج الثقافة والأنسنة في العصر العباسي، وأيضا هو بداية تفكك الدولة العباسية وضعفها، من خلال استعراض العصر الذي عاش فيه وما اشتمل عليه من نواحٍ سياسية اجتماعية وفكرية واقتصادية أثرت عليه وعلى مسار أفكاره ونتتبع بعدها إنتاجه الفكري من كتب، كما سنتطرق للعهد الذي أخذه على نفسه (وصيته).

المطلب الأول: نشأته وعصره:

اسمه ولقبه: ورد في ترجمة مسكويه عند ياقوت الحموي أنه: "أحمد بن محمد بن يعقوب، الملقب مسكويه، أبو علي الخازن)[١].

وليس هناك اختلاف بين من ترجموا له فيما يتعلق باسمه وكنيته، لكن إذا كان هناك إجماع من المصادر على اسمه وعلى كنيته، فإن هناك اختلافاً في لقبه، أو بمعنى أصح اختُلف في لقب مسكويه، هل هو لقبه أو لقب جده؟

وتبعا لهذا الاختلاف: هل يقال عنه: ابن مسكويه؟ أو يقال: مسكويه فقط، والأصح أن مسكويه لقبه هو، لا لقب جّده، ويكفي للدلالة على صحة ذلك أن مسكويه في كتاباته كان يذكر هذا اللقب على أنه لقبه، ففي كتابه الحكمة الخالدة ابتدأه بقوله: "قال أحمد بن محمد بن يعقوب "[٢] .

الرومي،ياقوت الحموي ، معجم الأدباء، ط١، (تحقيق الدكتور إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي ،بيروت، ١٩٩٣،الجزء٢،ص٤٩٣.(١)

مسكويه، أحمد محمد، الحكمة الخالدة ، (تحقيق عبد الرحمن بدوي)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٢٥،ص٥،(٢)

في موضع آخر من نفس الكتاب ذكر اللقب بنفس الصيغة مسكويه فقط دون ذكر كلمة ابن[٣]، وفي كتاب تهذيب الأخلاق[٤]، مما يدلل أيضا على ذلك ما ذكره أبو حيان التوحيدي وهو من المعاصرين لمسكويه في كتابه مثالب الوزيرين[٥] وكتاب الهوامل والشوامل حيث ذكره بمسكويه فقط[٦] أيضا القفطي في أخبار الحكماء[٧] والسجستاني في صوان الحكمة. [٨]

ويمكن أن نتبين مما سبق أن مسكويه لقبه هو أصح من ابن مسكويه كاسم لِجَدّه كما أن الذين قالوا بمسكويه مثل التوحيدي قد عاش في زمانه وكان من رفاقه، كما تجدر الإشارة عند الثعالبي في كتابه لطائف المعارف[٩]عندما تحدث عن القاب بعض أعلام عصره تحديدا نفطويه فقال: إنه لُقِّبَ بذلك تشبيهاً إيّاه بالنفض لدمامته وعليه قدّر الثعالبي مثال سيبويه حيث كان ينسب في النحو إليه كما تحدث الثعالبي عن مسكويه واصفاً إيّاه ممن لقبّ على مثال نفطويه[١٠] وقال إنه على مثال من الأُدباء والنحويين هو خازن ابن العميد[١١] ناهيك عن أنه هو نفسه في كتابه تجارب الأمم ذكر لقبه مسكويه كما سبق و تم عرضه.

أما عن أصل اللقب مسكويه فربما تعود إلى كلمة مشكويه الفارسية المركبة من كلمة مسك وهو العطر المعروف وله اللاحقة التي تحتمل معانٍ ثلاث: وهي التشابه أو التصغير وامتلاك الشيء مما يشير إلى أن اسم مسكويه هو من تشبه بالمسك أو رائحته مسك أو المسك الصغير[١٢]، ولا نعرف بالضبط العلّه التي من أجلها لقب أحمد بن محمد، نعم إن المسك جميل يصح أن ينسب إليه لرائحته الذكية والأرجح أن أحمد بن محمد كان يحب هذا العطر ويفضله ويتطيب به، وقد أكد الدكتور أبو القاسم الأمامي في مقدمته لكتاب تجارب الأمم بعد أن تحدث عن أسباب هذا الاختلاف في المصادر حول هذا الأمر بقوله في نهاية المطاف فهو أبو علي أحمد مسكويه (ابن محمد بن يعقوب) كما جاء في تصدير كتاب

---

(٣) المصدر نفسه ص ٣٤٥
(٤) مسكويه، أحمد محمد، تهذيب الأخلاق، ط١،المكتبة الحسينية المصرية، ١٣٢٩، ص٢
(٥) التوحيدي، أبي حيان،مثالب الوزيرين، (تحقيق إبراهيم الكيلاني)، دار الفكر، دمشق ،١٩٦١ ، ص٢٢٨،١٨
(٦) التوحيدي، أبي حيان ، الهوامل و الشوامل، لجنة التأليف و الترجمة، ١٩٥١،ص١٠
(٧) القفطي، أخبار الحكماء، قدمه جوليوس ليبرت ، دار ثيودور رايشر،لايزبنغ ، المانيا ، ١٩٠٨،ص٣٣١
(٨) السجستاني، أبو سليمان المنطقي، صوان الحكمة وثلاث رسائل، (تحقيق عبد الرحمن البدوي)، طهران، ١٩٧٤،ص٣٤٦
(٩) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل، لطائف المعارف، ١٨٦٧، ص٣٤
(١٠) أبراهيم بن محمد نفطويه هو عالم باللغة العربية و النحو و الحديث ، معجم الأدباء، الحموي، الجزء١، ص١١٤
(١١) الثعالبي،أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، لطائف المعرف، ١٨٦٧، ص٣٥
(6) سيباستيان غونتر،الفيلسوف و المؤرخ مسكويه بين التلقي و التأويل في ضوء الخطاب الأخلاقي، وجهات نظر، مجلة التفاهم،العدد٧٠،٢٠٢٠،وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية،سلطنة عُمان، ص٤٢٩ (6)

تجارب الأُمم مسكويه لا ابن مسكويه[١٣]، أما عن القابه وأوصافه الأُخرى فقد وصفه المترجمون من القدماء والمتأخرين بقولهم الحكيم المتكلم الفيلسوف الأخلاقي الرياضي المهندس اللغوي الأديب الشاعر الكاتب الذكي الناقد الفهيم الكثير الاطلاع على كتب الأقدمين ولغتهم المتروكة، كما كان من القابه الخازن والنديم كما لُقبَ بالمعلم الثالث[١٤].

ذكره الخوانسارى في روضاته، والبهيقي والشهرزورى بابن مسكويه[١٥]، وسنذكره في هذا البحث بمسكويه اختصاراً.

أ) مولده: فيما يتعلق بتاريـخ مولده فانه يتعذر تحديده على نحو قاطع، حيث لم يشر إليه أحد من القدماء، لأن بعض الباحثين المعاصرين ادعوا بترجيح ما بصدق هذه القضية وأصوب الترجيحات بهذا الخصوص هو ما ذهب إليه الدكتور عبد الرحمن بدوي حيث رجَح افتراض مرج ليوث أنه ولد حوالي سنه ٣٣٠ هجري أو قبل ذلك بقليل، وحسب الدكتور عبد الرحمن فإنه يميل إلى رد هذا التاريـخ إلى الوراء وجعله سنه ٣٢٠ تقريبا أو قبل ذلك بفترة زمنية بسيطة[١٦].

ب) إسلامه:

أورد ياقوت الحموي أن مسكويه كان مجوسياً وأسلم[١٧]، بيد أن هذا الزعم بعيد الاحتمال وذلك لأننا نعرف اسم أبيه وجده، فلو صح ذلك كما يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي فكيف يتم تبيان نسبه وهو ابن محمد؟ فهل يعقل أن يكون قد غير نسبه كله هذا غير محتمل، وإما أن يكون أبوه هو الذي كان مجوسيا واسلم وهذا أقرب للتصديق حيث لا يوجد روايات عن إسلامه مثل ابن الخمار، وابن المقفع، وأيضا في تجارب الأمم هو ذكر نفسه[١٨].

الرازي، أبو علي مسكويه، تجارب الأمم،(تحقيق أبو القاسم الإمامي)، دار سروش، طهران، الجزء الأول، ١٩٨٧،ص١٨ (7)

المصدر نفسه ص٢٢ ١٤-

عزت،عبد العزيز،ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها،شركة مكتبة و مطبعة مصطفى الباني الحلبي و أولاده،مصر،١٩٤٦،ص٨١ ١٥-

مسكويه ، أحمد بن محمد أبو علي، الحكمة الخالدة ، حققه عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٢، ص٢١ ١٦-

معجم الأدباء الجزء الثاني ،مصدر سابق ص ١٠ ١٧-

مقدمة الدكتور عبد الرحمن بدوي لكتاب الحكمة الخالدة، مصدر سابق ص١٥ ١٨-

ذكر أن مسكويه كان شيعياً استناداً لمرافقته الملوك والوزراء الشيعيين وآثار شيعيه في بعض ثنايا كتاباته حتى وإن لم تكن واضحة[١٩].

ج) نشأته العلمية و المعرفية:

قبل وفاته: الحديث عن مراحل حياته سنتطرق لنقطة مهمة وهي المكان الذي نشأ فيه حيث ذكرت المصادر أنه ولد في مدينة الري[٢٠]، مما يوحي أنه عاش طفولته في ايران، فهل تأثر بالثقافة الإيرانية؟ يرى أركون في كتاب نزعة الأنسنة أن مسكويه تربى بين بيئتين وثقافتين هما الثقافة العربية، والثقافة الإيرانية، حيث أمتاز المكان والزمان الذي ولد فيه بالتعددية الفكرية، والثقافية في الآراء، والمواقف والاتجاهات.

كان لمرافقته لبعض الشخصيات مثل ابن العميد والقاضي عبد الجبار ممن جعلوا بيوتهم أماكن ثقافية تجمع الكتاب، والفلاسفة وهذا أثر مهم في حياته، مما ساهم في نشاط الثقافة حيث عقدت المناظرات والمناقشات، ويرى أركون أن مسكويه لابّد واطلع على كتاب المجوسية دنكارت الذي يحوي فصلاً مخصصاً للحكمة[٢١].

إن هذه التنشئة قد أثرت بلا شك في فكر مسكويه فالتعددية والانفتاح الثقافي الذي عايشه يظهر جليا في أعماله فقد تنوعت أعماله بين الفلسفة، والتربية، والتاريـخ ...الخ و مع إطلاعه على الفلسفات المختلفة، ونشأته في محيط يعج بالاختلاف إلا أنه حافظ في كتبه على العقائد الإسلامية فلم يقبل من الفلسفات المختلفة سواء اليونانية أو الوثنية إلا ما اتفق مع الإسلام[٢٢]. فالبرغم من فارسيته والأصول الإيرانية التي ينتمي لها، لكن مسكويه كتب جميع كتبه باللغة العربية. وهذا يعزز حفاظه على العقائد الإسلامية، كما يوضح نزعة الأنسنة عنده في القرن الرابع الهجري[٢٣].

د) وفاته:

ذكر ياقوت أنه توفي في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة في التاسع من شهر صفر

١٩- أمين،أحمد،ظهر الاسلام،مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة،٢٠١٣،ص٣٩٢

٢٠- أركون،محمد، نزعة الأنسنة،ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، بيروت ، لبنان،الطبعة الأولى، ١٩٩٧، ص ١٤٠

٢١- المرجع السابق ص١٤٢

٢٢- أمين،أحمد ظهر الإسلام مرجع سابق ص٣٩١

٢٣- أركون، محمد، نزعة الأنسنة مرجع سابق، ص١١٥

(١٦شباط، ١٠٣٠ميلادي). فيبدو أنه عمر طويلا، مئة عام أو يزيد ٢٤البذيئة الفترة التي أنتج وألف فيها كانت الفترة التي اتصل فيها برجال بني بويه، وخدمهم خصوصا اتصاله بعضد الدولة[٢٥].

حياته العامة واتصاله بكبار رجالات عصره:

شكلت ندرة المصادر التي تتحدث عن حياته صعوبة للباحثين في تتبع سيرة مسكويه[٢٦]، وسنحاول إلقاء الضوء على أهم مراحل حياته، والأحداث الفارقة التي شكلت فكره، وبعض المواقف التي تعرض لها سواء مع رجال بني بويه أو بعض معاصريه مثل التوحيدي وابن سينا لنستكشف ما أثرمن هذه الأحداث على كتاباته وأعماله.

توفي والده وهو صغير وتزوجت والدته رجل شائن ليس بحسن الأخلاق،[٢٧] وهو ما لم يعجب مسكويه بالتأكيد، ونستطيع تبين هذا من الرسالة التي بعثها له الرازي والتي في مضمونها عزاء لمسكويه بزواج أمه ودعاء بالموت لها لأنها تزوجت[٢٨].

في نشأته المبكرة ترعرع على حفظ الأشعار البذيئة، وقبول الأكاذيب التي كان يرويها، كأنه تربى ليعمل في بلاط الملوك[٢٩]. وليس أدل من ذلك سوى فترة مصاحبته للوزير المهلبي حيث شهدت ماضيه الماجن فقد كان قصر الوزير مكان لاجتماع بعض القضاة ينادمونه، وامتازت تلك الليالي بالبعد عن التحفظ بل كانت تعج بأنواع الخفة والبعد عن الوقار، إلا أن مسكويه لم يذكر هذه الأحداث في كتابه تجارب الأمم، لعله أراد نسيانها أو فضل عدم ذكرها لما فيها من بعد عن الحكمة، لكنه ذكرها في كتابه تهذيب الأخلاق، حيث ذكر كما سبق أنه حفظ الشعر الرديء كشعر النابغة وأمرئ القيس حيث وصفه بالفاحش والذي يحوي الأكاذيب بالإضافة إلى ذكر القبائح، وقد أحب رؤسائه روايته لتلك الأشعار بل طلبوا منه أن يقول ما يشبهها وأجزلوا له العطايا نظير ذلك، وصاحب من ساعده على إتيان

٢٤- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء الجزء الثاني، مرجع سابق، ص٤٩٣

٢٥- أركون،محمد،نزعة الأنسنة، مرجع سابق ،ص١٤٦

٢٦- الرازي، ابوعلي مسكويه، تجارب الأمم ،(تحقيق أبو القاسم الامامي)،دار سروش ، طهران ، ١٩٨٧، الجزء الأول، ص١٣

٢٧- اركون الانسنة ، مرجع سابق ص١٣٠

٢٨- متز،آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ط٥، ترجمة محمد أبو ريدة، دار الكتاب العربي ،بيروت، المجلد الثاني ،ص١٨١

٢٩- أركون، محمد،نزعة الأنسنة، مرجع سابق ص١٤٤

ملذات الطعام واللباس وامتلاك الخيول الجميلة، والعبيد الثمينة[٣٠].

كان تركه لهذه العادات صعب بل أعتبره جهاداً للنفس[٣١]، يجدر القول أن هذه الفترة تعتبر فترة الشباب بالنسبة لمسكويه، وهي فترة المسّرات واتباع الملذّات لأي كان حيث يعيش الشباب حياة الاستهتار عدم المبالاة و بالنسبة له فقد ساهم اتصاله بالأمراء والوزراء في إقباله على حياة الترف، والبذخ، وانغماسه في الإكثار من الطعام و الشراب، عدا عن مرافقته لمن كان مثله في الطباع كما وصف إلا أنه استدرك نفسه و هذبها بل وألف كتابا ليرشد وينصح الآخرين في هذا المجال وهو تهذيب الأخلاق.

سيتم تقسيم المراحل التي اتصل بها مسكويه مع كبار رجال عصره و تأثير كل مرحلة:

المرحلة الأولى مع المهلبي وهو أبو محمد الحسن المهلبي، أصله من آل المهلب بن أبي صفرة[٣٢]، صحبه مسكويه لمدة اثنتا عشرة سنة (٣٤٠-٣٥٢) :

كان مسكويه معجبا بهذا الوزير وبصفاته التي تميز بها من ذكاء وحسن تدبير وصدق[٣٣]، وبالفعل كان هذا الوزير ذو دراية بشؤون الحكم.

هذه المرحلة التي عاشها في اللهو فقد كان لدى المهلبي مكان لاجتماع الشخصيات المرموقة يدعى دار البركة، تقام فيه الحفلات والاجتماعات مع الموسيقى، والشعر، وكافة أنواع الطيبات، التي لم يذكرها مسكويه في تجارب الأمم، ربما لأنه أدار ظهره لهذا الماضي السيء واشتغل على نفسه ومجهدتها ليغّير عاداته وطباعه التي اكتسبها في هذه الفترة، حيث صاحب الوزير وكان على دراية بكافة أحواله فقد رافقه ليلاً ونهاراً و كان يرى فيه شخص يمتلك مهارات الرئاسة من ناحية إدارة الأموال حيث عرف أين يضع الأموال ويصرفها في الوجوه الصحيحة.

كما أفادته هذه الفترة في التفرغ للعلم، لأنه كان يحظى بدخل ثابت يعفيه من مدح

٣٠- مسكويه، تهذيب الأخلاق ،ط١،(تحقيق غريبة ابن الخطيب) ، المطبعة المصرية،مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٣٩٨ ص٦٠

٣١- المصدر نفسه ص٦١

٣٢- ميتز، آدم، الحضارة الإسلامية، نقله للعربية محمد عبد الهادي ،دار الكتاب العربي ،بيروت، ط٥، المجلد الأول ص ١٩٣

٣٣- المصدر السابق ، ص١٩٥

الأمراء والكبراء وفي هذه الفترة التقى مع القاضي أبو بكر أحمد بن كامل ودرسا معاً تاريخ الطبري، وقد أبدى مسكويه اهتمامه بالتاريخ وكان واسع الاطلاع على هذا المجال[٣٤].

المرحلة الثانية هي التي قضاها في صحبة ابن العميد لمدة سبع سنوات (٣٥٣-٣٦٠):

في البداية وجب القول أن المدة التي قضاها مسكويه في خدمة أبا الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد المعروف بابن العميد[٣٥] تركت من قوة الأثر في نفس مسكويه، فأثنى على قدرته في حفظ الشعر، وعلمه بالمنطق، والفلسفة، حتى أنه زعم أن لا أحد في حضور المهلبي يتجرأ على القول بعلمه بهذه العلوم[٣٦]، حتى التوحيدي الذي حاول تعداد الكثير من الصفات السيئة لابن العميد، في كتابه مثالب الوزيرين لم يستطع تغير هذه الصورة الرائعة لابن العميد[٣٧].

عمل مسكويه خازناً لكتب ابن العميد حتى لُقّبَ بالخازن وقد أدى هذه المهمة على أكمل وجه، حتى أنه أنقذ هذه الكتب من سرقة وهجوم الخرسانيين على المكتبة، فسرقوا ما سرقوا من دارابن العميد وأملاكه، وكان قلقا على الكتب فلما سأل مسكويه عنها، أسعده أنها سليمة ولم تتعرض للنهب، وهذا هو السبب في تلقيبه بالخازن[٣٨].

ولابد و أن مسكويه قد أفاد من هذه المهنة في الاطلاع على الكتب، والتعرف على المفكرين الذين حضروا مجلس أبي الفضل ابن العميد[٣٩].

وتُعّدُ هذه الفترة أكثر نشاطا من الفترة السابقة بالإضافة للعمل في مجال الكتب وما أضفى هذا العمل من مميزات لفكر مسكويه، تعد شخصية ابن العميد من الشخصيات المؤثرة فقد كان يجبر الكاتب ليتعلم علوم جديدة بخلاف ما يعرفه أصلا من علوم اللغة و الدين وهلم جرا[٤٠] .

٣٤- نزعة الأنسنة ، مرجع سابق ،ص١٥٠

٣٥- الحمكة الخالدة التصدير، مرجع سابق، ص١٨

٣٦- الحضارة ، أدم ميتز ، مرجع سابق،ص ٢٠٤

٣٧- نزعة الانسنة ، مرجع سابق ،ص١٥٣

٣٨ – مسكويه ، الحكمة الخالدة ،مرجع سابق، ص١٨ .

٣٩- نفس المصدر ص١٨

٤٠- نزعة الانسنة ، مرجع سابق،ص١٥٤

والتوحيدي في كتابه الإمتاع وصف مسكويه أنه "فقير بين أغنياء ،..."[٤١] وعندما سأل الوزير التوحيدي مستنكرا حظه، لأنه صاحب ابن العميد أجاب التوحيدي أن مسكويه انشغل بالكيمياء وأنقطع للنظر في مكتب جابر بن حيان وابن زكريا، إلى جانب عمله الأساسي كخازن كتب، واسترسل التوحيدي حيث انتقد مسكويه في هذه الناحية ورأى أن مسكويه انشغل بها طلبا لمنافعها، بل زاد أن مسكويه لم يستفد من علم العامري ولم يأخذ كلمة أو يستوعب مسألة، لتوانيه وتراخيه عن ذلك، مع أن أصدقائه لاموه على هذا، فندم على ما فاته[٤٢]، والحسنة التي ذكرها التوحيدي عن مسكويه هي إجادته للشعر و رقة لفظه[٤٣]، و عاد لانتقاده لانشغاله بالكيمياء، وعَرَضَ لكتبه التي تحدث فيها عن الأخلاق، تهذيب الأخلاق وآداب العرب و الفرس، حيث وصفه بأنه يقول ما لا يفعل و ينصح بما لا يعمل.

و الواضح أن التوحيدي وصف مسكويه بطريقة غالى فيها بذكر مساوئه كإضاعته لفرص تحصيل العلم من العامري و غيره و تفسير انشغال مسكويه بالكيمياء طلبا للمال، بل ووصفه بأنه يقول ما لا يعمل[٤٤]، فهل هذه الصورة لمسكويه صحيحة، خصوصا وقد أوضحنا أن مسكويه جاهد نفسه ليتخلص من عاداته السيئة، بل إن تأليفه لكتب مثل تهذيب الأخلاق يوضح لنا فيه و يشرح بالتفصيل طرق التخلص من هذه العادات، أم أن التوحيدي قد وضع عدسة مكبرة على مسكويه؟

بالنسبة للكيمياء فتعليل مسكويه طلبه للكيمياء بأن تحويل المعادن للذهب يعفي الناس من مشقة العيش، ولم يكتف بذلك ففضول الفيلسوف هو ما جعله يتساءل عن سر هذا العلم و هل هو موجود فعلا؟ وما هو؟ و هذا لما سأال إسلامية قدنها، وأكمل بإيضاح آراء المعارضين كالمتكلمين والكندي، والمؤيدين لهذا العلم كرأي زكريا الرازي، لقد أوضح أن انقسام الآراء بين مؤيد ومعارض يحتاج دراسة ونظر لحجج كلا الطرفين وتبين لأقوال كل الأطراف دون تحيز لرأي أو شخص بناء على محبة أو عصبية.

إن دل هذا على شيء فهو يدل على حكمة مسكويه بالاطلاع على كل الآراء، دون انقياد لأي

---

[٤١] جمعة ، محمد لطفي، تاريخ فلاسفة الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة ،مصر٢٠١٢، ص٣٠٥-
[٤٢] الحكمة الخالدة ، مرجع سابق ،ص١٦-
[٤٣] الحكمة الخالدة ، مرجع سابق ص٢٥-
[٤٤] تاريخ فلاسفة الإسلام، محمد لطفي جمعة، مرجع سابق، ص٣٠٦-

طرف بل للمعرفة، فلم يكن شرط مسكويه لهذه المعرفة، أن تكون صحيحة أم باطلة، إنما أراد معرفة هل هذا العلم موجود أم لا، ولم تكن غايته المكاسب المادية من الكيمياء[٤٥].

وعلى الرغم من اشتغاله بالكيمياء لكنه لم يؤلف فيها، أو ربما ضاعت مؤلفاته فيها كما فقد الكثير من الكتب، أو ربما انشغاله بطلب الغاية منها كما يرى عبد الرحمن بدوي قد أفقده الاستفادة منها[٤٦].

نورد هنا موفقا حصل بين مسكويه وابن سينا حيث شرح الأخير لمسكويه مساله فلسفيه وبالرغم من إعادته الشرح فلم يفهمها مسكويه ومرة ثانية أعطاه جوزة ليخرج مساحتها، فما كان من مسكويه، إلا أن يرمي له مجموعة من الأوراق ويقول له خذها لتصلح بها أخلاقك.[٤٧] نستخلص من هذا الموقف اتجاه مسكويه للناحية الأخلاقية ولا يجوز لابن سينا أو غيره أن يعيب عليه دون وجه حق.

المرحلة الثالثة هي المرحلة التي قضاها مسكويه مع أبي الفتح بن العميد الملقب بذي الكفايتين وهي في الفترة (٣٦٠-٣٦٦)٤٨:

بالرغم أنه كان معلم لأبي الفتح لكنه استاء من تصرفاته وطيشه[٤٩] وربما يعود هذا لصغر سن أبي الفتح عندما تولى الرئاسة، كان عمره ثلاث وعشرون سنه أما مسكويه في الأربعين وهذا كافٍ لِيراهُ متسرعاً ومتهوراً، وبين الأب والابن اختلاف كبير، ومع أنه مدح أبي الفتح لجرأته وفطنته لكن أسلوب الحياة الباذخ الذي اتخذه أبو الفتح وتقريبه لأشخاص همهم الشهوات لم يعجب مسكويه، ولا يبدو أن مسكويه قد كان راضياً عن الطريقة التي اتبعها أبي الفتح في إدارة منصبه كوزير لركن الدولة الحسن بن بويه.

المرحلة التي تليها صحب مسكويه عضد الدولة (٣٦٦-٣٧٢):

فترة عضد الدولة أبي شجاع فناخسرو هو أول من لقب بلقب ملك في التاريـخ الإسلامي لا يُعرف ماذا كان يعمل مسكويه بالتحديد في بلاط عضد الدولة على الأرجح أنه كان يعمل

٤٥- نزعة الأنسنة، مرجع سابق ص١٦٣
٤٦- الحكمة الخالدة ، مرجع سابق ،ص٢٤
- ظهر الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٩٠
- الحكمة الخالدة التصدير، مرجع سابق، ص١٨
٤٩- نزعة الأنسنة ، مرجع سابق ،ص١٦٥

ككاتب مع خاصة عضد الدولة[٥٠].

في هذه الفترة بدأ مسكويه يهتم بالطب لأن عضد الدولة كان لا يتناول طعامه إذا لم يكن في حضور الطبيب ،يسأل الطبيب عن فوائد الأطعمة ومساوئها، وكان عضد الدولة يهتم بالأطباء فقد كانوا يلتقون في قصره منهم أبن الخمار، وجبرائيل بن عبيد الله، والتميمي المقدسي، ألف مسكويه كتابين في علم الطب كتاب في الأدوية المفردة وكتاب في تركيب الباقات، وكان الكتابين مميزين، كانت تحتوي هذه الكتب على إرشادات طبية، ربما كان اهتمامه بالطب كاهتمامه بالكيمياء فلم يكن إلا مرحلة مؤقتة من حياته فالطب عامة يعتمد على شفاء الأجسام أما مسكويه فقط كان اهتمامه بالأرواح وشفائها وتزكيتها، فلا يمكن مقارنة الروح بالجسد لأن كمال الروح هو ما يرفع الإنسان إلى درجة أسمى وأرفع[٥١].

عصر مسكويه:

تأسيس الدولة البويهية: تشكلت الدولة البويهية في العصر العباسي الثالث وذلك رداً على النفوذ التركي الذي سيطر على الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني في أوائل القرن الرابع الهجري.

كانت الدولة الإسلامية قد بسطت نفوذها على أقطار كثيرة من الأرض تختلف من حيث اللغة والدين والعادات وأحوال تلك البلاد.

وقد أتت الاجتماعية لتلك البلاد بسبب التقارب وحكم الجوار والامتزاج مع بعضها البعض فهذه الشعوب كانت تتكلم لغة واحدة هي اللغة العربية، وتدين بدين واحد ونظام سياسي واحد فالخليفة كانت طاعته واجبة، وعصيانه يثير ثقة الناس فكان منصب الخلافة منصب مقدس، لكن الشعوب التي كانت تخضع لنظام الدولة الإسلامية لم تفقد خصائصها القومية حتى أنها كانت تعلن عن حاجتها للاستقلال كلما ضعفت السلطة المركزية في بغداد، فكانت هذه الشعوب تثور وتنفصل وهذا نتيجة حتمية لدولة تسيطر على شعوب عديدة مختلفة في التراث وأحوال الشعب والناس، وإذا تتبعنا الخطوط الرئيسية للحالة السياسية والاجتماعية في عصر بني بوأيه سنسأل أولا من هم بني بويه؟

٥٠- الحكمة الخالدة ، مرجع سابق، ص١٩

٥١- نزعة الأنسنة ، مرجع سابق ،ص١٧٠وص١٧١

إن بني بويه هم الديلم الذين كانوا يسكنون البلاد الواقعة في الجنوب الغربي من شاطئ بحر الخزر، وهو شعب بدوي كان يمتاز بالخشونة وقلة اللامبالاة، وكانوا وثنيين على الرغم من أن بلادهم تم افتتاحها منذ عهد عمر بن الخطاب إلا إنهم دخلوا الإسلام عندما دخل عليهم الحسن بن علي الأطروش الذي أقام عندهم أو أقام فيهم ثلاثة عشرسنة يدعوهم إلى الإسلام على المذهب الزيدي، أسلم منهم عدد كبير وكان ذلك في بداية القرن الرابع الهجري[٥٢].

ظهر بنو بويه وكانت دولهم قد تأسست في فارس وكرمان والأهواز أصفهان والري وهمدان وسيطرو على العراق ومن نفوذ هذه الأسرة سمي أحد قصور الخلافة العباسية باسمها حتى أنهم شاركوا الخليفة في الحكم تبدأ القصة عندما هاجرت أسرة بني بوأيه من بلاد الديلم من منطقة مجاورة لبحر قزوين وكان الأخ الأكبر هو علي بن شجاع بن بويه الذي كان لديه طموح في التوسع وفرض سياسته في المنطقة المجاورة له بالقوة وبسبب ذكائه وحنكته وحسن معاملته للآخرين بنى جيشاً قوياً استولى به على جُلّ بلاد فارس[٥٣].

أسرة بني بويه الديلمية تبدأ بشجاع بويه كان شخصاً فقيراً لديه ثلاث أولاد، يعيش على صيد الأسماك والاحتطاب وعندما أدخل أولاده في خدمة قواد الديلم جنودا، تقلبت بهم الأحوال حتى أصبحوا ملوكا والأخوة هم علي والحسن وأحمد، الذين صارت لهما مكانة مرموقة في التاريـخ الإسلامي، فاقترح عليهم بعض الكتاب أن يتخرعوا لهم آثر قديماً، وأن ينسبوا لهم نسباً يصلهم بملوك فارس القدماء، ليحظوا بالمجد والشرف، لذلك هناك اختلاف حول نسب بني بويه، فمنهم من يقول أن بني بويه يعود نسبهم إلى الملك الساساني بهرام جور[٥٤]، ومنهم من يرفض هذا النسب ويقولون أنهم لم يكونوا ذو مآثر مسكويه نفسه تحدث عن ركن الدولة في كتابه تجارب الأمم في الجزء السادس حيث كان يتساهل ويتسامح مع العسكر، وهو مكره على ذلك لأنه ليس من أهل السلطة أو لا يعود بنسبه إلى أصحاب

٥٢- الكروي، إبراهيم ، البويهيون و الخلافة العباسية مركز الإسكندرية للكتب ، الإسكندرية ، ٢٠٠٨، ط٢،ص٧٧

٥٣- طقوش،محمد،تاريخ الدولة العباسية ، دار النفائس للطباعة و التوزيع و النشر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧، ط٧،ص٢٢٠

٥٤- حسن ، إبراهيم حسن الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي،دارالجيل بيروت ومكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،١٩٩٦، ط١٤، ص٤١

الأمر وكان يتساهل في كثير من الأمور ويسامح ويغفر أشياء لا يتساهل فيها أمير[٥٥]، ونرجح من هذا الكلام أن نسبتهم إلى ملوك فارس هو ضرب من الادعاء لا صحة فيه.

كانت الحال في العراق مضطربة نتيجة الخلافات بين الأمراء فقد كان الخلاف بين والي البصرة ابن الرائق وأمير الأمراء هذا من جهة أو ناحية ومن ناحية أخرى بين أبو عبد الله البريدي الذي كان وليا على الأهواز بالإضافة لذلك كانت هناك مشاكل اقتصادية وكان الخليفة واقعا في ضائقة مالية فتطلع الناس إلى حكم البويهين على أنه سينشلهم من الفوضى في العام ثلاث مئة واثنان وثلاثين استقبل الخليفة المستكفي أحمد بن بوأيه وهو الذي طلب منه الدخول إلى بغداد وأطلق عليه لقب أمير للأمراء معز الدولة بالإضافة إلى تسميات أو إطلاق لقب عماد الدولة على أخيه علي وركن الدولة على أخيه حسن وهذه الألقاب استمرت للأمة للأمراء البويهيين وصار الحكم وراثيا عند بني بويه، واستقرت دولتهم نسبيا، حيث ظهرت خلافات بسيطة نتيجة تشيع الأسرة البويهية[٥٦].

كان معز الدولة سياسيا محنكا لذلك أبقى على الخلافة العباسية ليستمروا في الحكم تحت مسمى الخلافة العباسية وذلك تحسبا لقيام خلافات بينهم وبين الأمة الإسلامية لكنه عمل على تقوية سلطته وفرض هيمنته، حتى أنه شارك الخليفة في سيادته وحارب الحمدانيين حتى لا يكون بجانبه إمارة عربية قوية[٥٧].

ونذكر أن الديلم كانوا يتشيعون ويغالون في التشيع، ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة من مستحقيها وعليه لم يكن لديهم باعث دين على احترام العباسيين أو طاعتهم ،وقد أخذوا هذا التشيع عن الحسن بن علي الأطروش ولم يكن للخلفاء في عهد بني بويه أمر ولا نهي وإنما حتى لم يكن لهم وزير بالكاتب يدبر إخراج إقطاعاتهم، وكان البويهيين يسيئون معاملتهم ففي سنة مئتان وأربعة وثلاثون ذهب معز الدولة إلى دار الخليفة وكان المستكفي جالسا على سريره وتقدم منه وسحب يديه، وارتفعت الأصوات وسيق المستكفي إلى دار معز الدولة ، حيث خلع، وفي هذا الوقت سلمت الخلافة للمطيع[٥٨].

---

[٥٥]- تجارب الأمم ، نسخ و تصحيح هـ،ف،آمدروز،مطبعة شركة التمدن الصناعية،مصر،١٩١٥، ص ٢٧٩|مسكويه ، محمد بن أحمد،

[٥٦]- تاريخ الدولة العباسية، محمد طقوش ، مرجع سابق، ص٢٢٣

[٥٧]- البويهيون و الخلافة العباسية، إبراهيم الكروي ،مرجع سابق ص١٠

[٥٨]- تجارب الأمم، هـ،ف، امدرورز،مرجع سابق، الجزء السادس ، ص٨٧

مع ذلك فإنه من الجدير بالذكر أن أوضاع الخلافة في أيام حكم بني بويه كانت أفضل من أيام حكم الأتراك قبلهم وقد أظهروا إنهم يحكمون باسم الخليفة ويطيعونه أمام الناس وبالنسبة للخليفة فقد فوض الأمراء البويهين بإدارة الدولة[٥٩]، ويذكر هنا أن البويهين تدخلوا في الخلافة مرتين المرة الأولى هي في العام ثلاث مئة وأربعة وثلاثين عندما دخلوا بغداد حيث قام معز الدولة بخلع المستكفي من الخلافة ووضع بدلا منهم المطيع والمرة الثانية كانت في العام ثلاث مئة وواحد وثمانين عندما خلع الخليفة الطائع على يد بهاء الدولة ووضع بدلا منه القادر في الخلافة، وكان ذلك للحصول على أموال الخليفة وفي هذه الفترة كان الخليفة يخصص له راتبا شهريا و الأمراء البويهيين تمتعوا ببعض الميزات منها ضرب الطبول أمام دورهم في وقت الصلاة وقت كانت هذه العادة تفعل للأمراء العباسيين أو للخلفاء العباسيين حيث وقت الصلاة تضرب الطبول أمام دار الخليفة[٦٠]، وكانوا يلقبون بالألقاب مثلا شجاع فناخسرو كان لقبه عضد الدولة، أما بالحسن علي كان يلقب بفخر الدولة وكانت هذه الألقاب تطلق من قبل الخليفة العباسي[٦١].

الحالة الاجتماعية:

هذا العصر شهد ترف مفرط و تأثر بالحضارة الفارسية لدرجة الاحتفال بأعياد فارسية كعيد الورد (شاذكلاه) وانتشار البذخ على نحو غير مسبوق لفئة معينة هي الطبقة الحاكمة، على حساب الشعب الذي كان يتمرغ في البؤس و الشقاء[٦٢].

في القرن الرابع ظهرت العلوم والآداب، ونشطت حركة الكتابة والتأليف، ومجالس العلم مثل مجلس الوزير ابن سعدان[٦٣]، ومجلس ابن العميد والذي ساهم مع ابن العباد بإنشاء حركة علمية في ذلك العصر[٦٤]هذه المجالس التي شارك بها مسكويه واشتهر بها بفلسفته الأخلاقية التي تفوقت على فلسفة الجاحظ بشمولها جوانب الأخلاق[٦٥]، ولا أدل على ذلك من ذكر مسكويه في كتابه تهذيب الأخلاق من آراء لأفلاطون وأرسطو وجالينوس، وكما يقول

---

[٥٩]- طقوش،محمد،تاريخ الدولة العباسية، مرجع سابق، ص٢٢٥

[٦٠]- طقوش،محمد،تاريخ الدولة العباسية، مرجع سابق، ص٢٢٨

[٦١]- طقوش،محمد،تاريخ الدولة العباسية، مرجع سابق، ص٢٢٩

[٤] - ضيف،شوقي،العصر العباسي الثاني،دار المعارف،مصر،ط٢،ص٦٩ و ص٧٠

[٦٣]- أمين،أحمد،ظهر الاسلام،مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة،٢٠١٣،ص١٩٢

[٦٤]- أمين،أحمد،ظهر الاسلام،مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة،٢٠١٣،ص٢٠١

[٦٥]- أمين،أحمد،ظهر الاسلام،مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة،٢٠١٣،ص٣٩٣

كريمر إن الفلسفة العربية تأثرت بأرسطو بل وقامت على فلسفته إضافة إلى المدارس الإشراقية التي تأثرت بأفلاطون وهذه المدارس نشأة في هذا العصر[٦٦]، وأُنشِئَت فيه مظاهر مدنية رائعة في مختلف الأخطار، فهو على هذا الأساس عصر النضج والازدهار للحضارة الإسلامية، فإن الحضارة الإسلامية في القرن الرابع بناءً على ذلك هي أسمى وأرقى وأنضج منها في أي وقت مضى.

ولابد هنا من ذكر أثر التوحيدي ومسكويه في تدعيم فلسفة الأخلاق، بمشاركتهم في مجالس ابن العميد والصاحب بن عباد وأبي الفضل، هذه المجالس التي ساهمت بخلق حركة ثقافيه إنسانية بما تضمنته من مناظرات ومحاورات فكرية وأدبية تاريخية ودينية ...الخ نمت وحركت العقل والأبداع[٦٧].

على الرغم من هذا كان هناك اختلاف شديد في أساليب العيش نتج عنه اختلافا شديدا في الوعي والشعور عند الناس وخليق بهذا الاختلاف الشديد في الوعي والشعور أن يُنتج مظاهر اجتماعية متباينة ومذاهب فكرية متناقضة في صعيد واحد. لقد كانت هذه الحالة أثرا من آثار النظام الطبقي الذي ساد المجتمع البويهي في هذا العصر، حيث كانت هناك طبقتان متميزتان بعضهم عن بعض كل التميز: هما طبقة الخاصة وهي ضئيلة العدد قوامها الملوك والوزراء ورجال الدولة وبعض التجار والإقطاعيين. وطبقة العامة وهي تشمل أكثرية الأمة من علماء وأدباء وصناع ومزارعين وفلاحين ورعاة. أما طبقات الخاصة وأغلبها من ذوي النفوذ والسلطان فإنها قد استغلت الطبقة العامة بما كان لها من قوة وسيطرة أفظع استغلال، كانت أشبه بعصابة تواطأت فيما بينها على انتهاب أموال الرعية والاستيلاء عليها بطريق العسف والظلم[٦٨]، ففي ظل بني بويه انقسم المسلمون إلى شيوخ وعدد من الطوائف منهم السنيون والشيعة الذين انتعشت أحوالهم في هذه الفترة ولا أدل من ذلك على احتفالهم بأيام كعاشوراء وغيرها وإظهار الزينة في هذه الاحتفالات[٦٩]، عدا عن انقسام الشعب لفئات مثل فئة الرقيق والتي كانت أيضا تنقسم لفئات فرعية حسب المنطقة التي

---

[٤] -كريمر،فون،الحضارة الإسلامية و مدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية،تعريب مصطفى بدر،دار الفكر العربي ، مصر، ص١١٠وص١١١

[٦٧]- أركون ،محمد،الأنسنة و الاسلام،ترجمة محمود عزب،دار الطلعية ،بيروت،٢٠١٠،ص٣٩

[٦٨]- أمين،أحمد،ظهر الاسلام،مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة،٢٠١٣،ص٩٨

[٦٩]- حسن ، إبراهيم حسن،الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي،دارالجيل بيروت ومكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،١٩٩٦، ط١٤، ص٤٣٢

جاء منها الشخص[٧٠]، وفئة أخرى من الشعب هم أهل الذمة التي تشمل النصارى واليهود[٧١].

ومن خلال هذه التصنيفات تجمعت الثروة في يد فئة من الشعب وتركز الغنى الفاحش في قصورها، يدل على ذلك الأرقام الهائلة التي ذكرها المؤرخون عن الثروات التي كانت لدى الملوك والوزراء وبعض الأغنياء في هذا العصر[٧٢].

إن هذه الحالة الاجتماعية لم تولد من تلقاء نفسها بل هي نتيجة لمؤثرات آخري تنتج عنها وابرز هذه المؤثرات هو ضعف الخلافة في تلك الفترة، هذا الضعف بالتالي أثر على الحالة الاقتصادية كما أوردنا قبل قليل من ظهور الطبقات وتركز الثراء في فئة معينة من الناس[٧٣].

المؤثر الآخر اللي كان سببا من أسباب تردي الحالة الاجتماعية وضعف أثر الدين تباين الاعتبارات الاجتماعية عند القوم سببا لظهور البدع الدينية وعودة العادات الشرقية القديمة إلى المجتمع من جديد استطعنا أن ندرك سبب انتشار عدد من الظواهر الاجتماعية مثل الفسق، والفجور، والشراب، والغناء، وألفاظ المجون في المجتمع حتى بين العلماء والفقهاء، وانتشار هذه المجالس[٧٤]، استطعنا كذلك أن ندرك سبب عدم استنكار المجتمع لهذه الموبقات، وسبب جموح النزوات والشهوات عند الطبقة المترفة.

وكما للمال العامل الاقتصادي أثر سيئ آخر في أخلاق الناس ولا سيما الطبقة العليا، فقد تعلق به تعلقا شديدا إذا كان المحور الذي تدور عليه حياتهم فتنازلوا في سبيل الحصول عليه عن كثير من الصفات الكريمة واستعاضوا عنها بالذل والضعة وفقدان الشعور بالكرامة والاستخفاف بكرامة الغير. وبالخديعة، والدس، والجشع، والبغض، والنفاق وما إلى ذلك وكان لفقدان المال العامل الاقتصادي بانقسام آثار أخرى سيئة أيضا في حياة الناس ولا

٧٠- مين،أحمد،ظهر الاسلام،مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة،٢٠١٣،ص١٠٩

٧١- حسن ، إبراهيم حسن،الإسلام السياسي و الديني و الثقافي و الاجتماعي،دارالجيل بيروت ومكتبة النهضة المصرية ، القاهرة،١٩٩٦، ط١٤، ص٤٣٣

٧٢- أمين،أحمد،ظهر الاسلام،مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة،٢٠١٣،ص٩٧

٧٣- عزت،عبدالعزيز،ابن مسكويه فلسفته الاخلاقية و مصادرها،شركة و مطبعة مصطفى الباني الحلبي و اولاده،مصر،١٩٦٤،ص٧٢

٧٤- أمين،أحمد،ظهر الاسلام،مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة،٢٠١٣،ص٢٨٠

سيما الطبقة العامة[٧٥]، إذ أصبح مصدرا لانتشار الدجل والتخريف بينهم، فقد تعلق الناس بالأسباب الموهومة في الحصول على الغنى لعجزهم عن تحصيله بالوسائل المعقولة، فصار الناس يعتقدون في الطوالع التي تسعد وتشقى، بالإضافة إلى اعتقادهم بالكيمياء التي تحول النحاس والقصدير ذهبا، والالتجاء إلى دعوات الأولياء، لعل دعوتهم تتحقق فينقلب فقرهم غنى هذا إلى الاعتقاد في السحر والطلسمات والبحث عن الكنوز المخبوء[٧٦].

أثرت سمات هذا العصر الذي عاشه مسكويه على أفكاره، وآرائه الأخلاقية، والتربوية، فتفاقم الاختلافات الاجتماعية، والثقافية، وضعف الخلافة، وتدهور أحوال الناس، وتأثر أخلاقهم، و تدهورها إن صح التعبير جعلته يؤسس نظريته التربوية لما يجب أن يكون عليه الإنسان الذي يتمتع بالفضائل الكريمة، وكفيلسوف تربوي له أثره، وآراء تربوية نراهن على قيمتها حتى عصرنا الحالي، حيث استخدم في كتابه تهذيب الأخلاق كلمات تربية وتهذيب وسياسة وتعليم وتأديب مما يؤكد على أهمية العملية التربوية عنده وغايتها تشكيل الإنسان وتقويمه.

نستطيع من خلال ما سبق عرضه استخلاص بعض السمات العامة للفترة التي عاش فيها مسكويه :

- **أولا:** الضعف السياسي فالدولة العباسية كانت مجزأة و النفوذ الفعلي كان للأمراء البويهين وليس للخليفة العباسي الذي كان مجرد يمثل شكل اسمي للدولة.

- **ثانيا**: الاختلافات في المجتمع بين الأغنياء والفقراء وفساد الأخلاق الذي دفع مسكويه لتأليف كتابه تهذيب الأخلاق، فمن مصاحبته للأسرة البويهية عرف مسكويه ما يجري داخل القصور من خلاعة و انحلال فحاول الإصلاح من خلال الكتابة والتأليف.

- **ثالثا**: إيجابيات عصره الاهتمام بالعلم والعلماء، وانتشار الحركة الثقافية، وتنافس الأمراء لاجتذاب العلماء لمجالسهم واقتنائهم الكتب، والمكتبات، حتى أن مسكويه كان يعمل خازنا للكتب.

---

[٧٥] عزت،عبدالعزيز،ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها شركة و مطبعة مصطفى الباني الحلبي و اولاده،مصر،١٩٦٤،ص٧٤ -

[٧٦] أمين،أحمد،ظهر الاسلام،مؤسسة هنداوي،المملكة المتحدة،٢٠١٣،ص١٢١ - -

المطلب الثاني: أعمال مسكويه

اهتم قدماء المؤرخين مثل ياقوت الحموي، والباحثون المحدثون بتتبع مصنفات مسكويه وإحصائها، ومن المحدثين الدكتور محمد أركون وما أورده الدكتور عبد الرحمن بدوي في تصديره لكتاب الحكمة الخالدة.

المؤلفات المطبوعة:

- **الفوز الأصغر**[٧٧]

وهو أهم كتب مسكويه الموجودة فيما يتعلق بالجانب النظري من الفلسفة، حيث قسمه ثلاثة أبواب: إثبات الصانع(الإلهيات)، والنفس الإنسانية، والنبوات. كما تعرض فيه على نحو متفرق للقضايا الرئيسية في الطبيعيات، ولذلك فإنه يعتبر المصدر الرئيسي للكشف عن فلسفته الطبيعية والإلهية.

موضوع الكتاب يتضمن اللاهوت الفلسفي، كتب أوليفر ليمان أن مسكويه لم يجد صعوبة في التوفيق بين أفكار اليونانيين القدامى وأفكار الإسلام فكلاهما يعتقد بوجود الله ووحدانية وهكذا قدم مسكويه مقاربة خارجة عن المألوف للأفلاطونية المحدثة[٧٨].

هناك ثماني مخطوطات لهذا الكتاب منها مخطوطة طهران تحت عنوان الجواب في المسائل الثلاث وهذا العنوان يشير إلى معالجة ثلاث مسائل كما ورد في المقدمة تحت طلب الأمير ما هو أيضا مأخوذ من الخاتمة. في هذا الكتاب يحدد مسكويه أنه كتبه بناء على طلب الأمير في موضوعات ثلاث وبحسبه في هذه الموضوعات تحتوي على العلوم جميعها التي يسعى لها الحكماء وهي ما ينتهي إليه البحث، ويتداوله عامة الناس وخاصتهم.

وهذا الكتاب ممكن يبقى في زمن مسكويه متساويا من حيث الأجزاء الثلاث محتويا على مفاهيم ميتافيزيقية ونفسية تشكل الأرضية النظرية التي سيبني عليها مسكويه كتابه تهذيب الأخلاق وعلى الرغم من أن الكتاب قد كتب تحت الطلب لكن مسكويه كتبه بشمولية

---

[٧٧]- معجم الأدباء ٢ ، مرجع سابق ،ص٤٩٥

[٧٨]- سيباستيان غونتر،الفيلسوف و المؤرخ مسكويه بين التلقي و التأويل في ضوء الخطاب الأخلاقي، مرجع سابق،ص٤٥٢

واضحة[٧٩].

- **الهوامل والشوامل**[٨٠]

وهو عبارة عن أسئلة وجهها أبو حيان لمسكويه، وأجابه مسكويه عنها، وهي تتناول مسائل متنوعة: لغوية، وخلقية، واجتماعية، وطبيعية، وإلهية، وغيرها. ويشير معنى الهوامل في هذا الكتاب إلى الأسئلة التي طرحها التوحيدي ولم يكن يبالي بإجاباتها فمعنى الهوامل هو البعير السارح على عكس مسكويه الذي قدم أجوبة تعتبر استقصائية على كل مسألة مطروحة من قبل التوحيدي وهذا ما يقصد بالشوامل[٨١].

في مقدمة هذا الكتاب نجد مسكويه يحاول تعزية التوحيدي. الذي كان يشتكي من قساوة الدهر والبشر ومن خلال كلمات مسكويه في المقدمة نلاحظ تعاطفه مع التوحيد لا بل والأحاسيس المشتركة بينهما، حيث مسكويه كان يجاهد نفسه بين العزوف عن الدنيا وملذاتها من انقطاعه عنها وحالة توحيدي الذي كان يشتكي من حياته العاثرة، فقد عانى التوحيدي معاناة شديدة قبل التقائه بالوزير ابن سعدان الذي أهدى إليه كتاب الإمتاع والمؤانسة لكن بعد موت هذا الوزير عاد التوحيدي إلى حياة الشقاء، وكان يشاركه مسكويه أو كان كلأ منهما في غم وكرب و شارك التوحيدي مسكويه في التعاسة وكانا ينشران الحكمة لا بل ويعارضون أو يعارضان الكتاب الذين كانوا تتناقض أقوالهم مع أفعالهم وينشرون فلسفات نظرية لا فلسفات عملية.

وفي الكتاب يظهر أسلوب التوحيدي أسلوبه في الكتابة الجميل وردود مسكويه الذي يمتلك ثقافة واسعة وحكمة حقيقية فالكتاب يجمع بين أسلوبين مختلفين وتأملات وانتقادات من شخصين مما أغنى الكتاب وجعله يحتوي على تجربتين مختلفتين يعود وقت ظهور الكتاب تقريبا للعام ٣٦٥ والكتاب يأتي على نظام أسئلة وأجوبة أسئلة يسألها التوحيدي إذا نظرنا فيها وجدناها مبعثرة ومشتتة ولا منهجية، وأجوبة من طرف مسكويه

---

[٧٩]- نزعة الأنسنة، مرجع سابق، ص ٢١٧

[٨٠]- الهوامل: هي الإبل السائمة التي يهملها صاحبها ويتركها ترعى. والشوامل: الحيوانات التي تضبط الإبل الهوامل فتجمعها. وقد استعار أبو حيان كلمة الهوامل لأسئلته المبعثرة التي تنتظر الجواب، واستعمل مسكويه كلمة الشوامل للإجابات التي أجاب بها فضبطت هوامل أبي حيان. مقدمة الهوامل والشوامل للدكتور أحمد أمين، الصفحة الأولى.

التوحيدي ،أبي حيان ، و مسكويه،الهوامل و الشوامل ،نشره أحمد أمين و السيد أحمد صقر،مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ،القاهرة،١٩٥١،ص١

[٨١]-

بأسلوبه الهادئ الرزين وفي المجمل يحتوي الكتاب بعد قراءته على المعرفة العلمية في ذلك العصر فهو ليس مشتتا كما هو في ظاهره بل في وحدة واحدة فمثلا قبل أن يسأل التوحيدي أسئلة عن طهارة النفس يكون قد سأل عن العزف، والموسيقى، والغناء مما يلوح في ظاهره أو يعطي انطباعا أن هناك تشتتا في هذه الأسئلة لكن ردود مسكويه الحكيمة نستخلص منها الرؤى الشمولية العامة والوحدة لتلك المعارف العلمية، فالكتاب بالرغم من أن موضوعه الأساسي هو العدالة لكنه يتسم بالموسوعية في طرح محتوياته[٨٢].

- **تهذيب الأخلاق**[٨٣]

وهو أشهر كتب مسكويه على الإطلاق، وبه نال مكانته الكبيرة في الجانب الأخلاقي من الفلسفة. يتحدث الكتاب عن علم الأخلاق والمصطلح الذي كان يستخدم هي صناعة الأخلاق وقد أخذ مسكويه عني يحيى بن عدي موسعا في ما قاله ومتعمقا أكثر، وللكتاب عنوان آخر هو الطهارة أو طهارة النفس، والكتاب وجد رواجا كثيرا من عامة الناس أو القراء سواء في إيران أو في العالم العربي، هو من أهم كتب مسكويه خصوصا من ناحية البناء الفلسفي الرصين وهو موجه لطلاب الفلسفة ككتاب مدرسي الكتب الفلسفية في ذلك الوقت كانت عبارة عن ترجمات للكتب الإغريقية أو شروحات صعبة وقد أخذ مسكويه منهجية أرسطو حيث عرض الأفكار بطريقة منظمة واضحة ويظهر هذا من خلال الأمثلة التي عرضها مسكويه باستعانته بنصوص إسلامية إلى جانب الأقوال الفلسفية حتى يكسب أو حتى يستطيع الوصول إلى القراء المسلمين وهو من الأهمية حيث أنه يعتبر من المصادر للكتب المتأخرة التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي في موضوع الأخلاق.[٨٤]

- **الحكمة الخالدة**[٨٥]

وهو عبارة عن حكم ووصايا جزئية نقلها مسكويه عن حكماء فارس والهند والعرب واليونان وقد جمع فيه مسكويه حكم كثيرة من الفرس والعرب والهند والروم ممن سبقوه بالزمن وقد وجد هذا الكتاب لدى موبذان موبذ وأضاف إليه كل ما استطاع جمعه وإضافته

٨٢- سيباستيان غونتر،الفيلسوف و المؤرخ مسكويه بين التلقي و التأويل في ضوء الخطاب الأخلاقي، مرجع سابق ،ص٤٥٩

٨٣- الحكمة الخالدة ، مرجع سابق ،ص٢٢

٨٤- نزعة الانسنة، مرجع سابق، ص ٢٢٩

٨٥- معجم الادباء٢ ، مرجع سابق ،ص ٤٩٦

من آداب الأمم التي سبق ذكرها، يستفيد منهم الأحداث ليستفيد منه العلماء حيث مقصد مسكوية وغايته كانت أن يستفاد من هذا الكتاب حيث الأمم لا تتغير بتعاقب الأزمنة أو اختلاف الأحقاب بل إن عقولها تمشي في طريق واحدة.

ويبدو أن مسكويه قد بدأ بجمع هذا الكتاب في وقت مبكر جدا فالحكمة استرعت ولفتت انتباه مسكويه وشغلته منذ طفولته مع كتابه أنس الفريد[٨٦] تم ذكر الكتاب في معجم الأدباء على أنه مجموعة أشعار وأمثال و حكم.

جمع في هذه الكتب أخبار وحكم تدعم كتابه تهذيب الأخلاق أوردها فيه لتعمل على تدعيم الكتاب بالنظريات الفلسفية التي ذكرها في كتاب تهذيب الأخلاق.

وربما هذا الكتاب آخر كتاب وصلنا من مسكويه ويعتبر آخر إنتاجه الفكري وربما مسكويه بعد أن كبر لم يلتفت إلى كتابة تعاليمه بل اكتفى بنقلها شفاهية وتوجد العديد من المخطوطات التي تصل إلى أربعة عشر مخطوطة لهذا الكتاب.[٨٧]

كتاب الحكمة الخالدة هو مقتطفات كما ذكرنا سابقا من حكم الآخرين فلا يوجد لفكر مسكويه أو فلسفته الخاصة رؤية واضحة إنما يجد تآلف بين هذه الحكم مجتمعة، والاختلاف في الطريقة التي تقدم بها هذه الحكم فالحكمة العربية والفارسية تقدم بعبارات صغيرة ومعبرة والحكمة الإغريقية تستخدم المحجات العقلية أما الحكمة الهندية هي متناسقة أكثر والمشترك بين هذه الحكم هو ما أصل أضافه مسكويه إليها لتحمل في مجملها ما أراد إيصاله من أخلاق، وذلك من خلال سيطرة الإنسان على نفسه وعلى صراعه الدائم معها فحتى لو كانت هذه الحكم من شعوب مختلفة وثقافات مختلفة، إلا أن مسكويه قد جمعها ليتشكل جوهر فردي يدعو إليه وذلك من خلال التغلب على الصراع الداخلي الذي يواجه الإنسان في حياته اليومية ومعيشته.

في الفترة التي عاش فيها مسكويه كانت تعاني من ظلم رئيس الدولة إلى جانب وجود طوائف تتقاتل فيما بينها وكوارث وأمراض فدعوة مسكويه للتمسك بالأخلاق من خلال تعديلها لتناسب وتتوافق مع الحالة الاجتماعية السائدة في عصره كانت للخلاص والتقدم

---

[٨٦]- المصدر نفسه ، مرجع سابق ،ص٤٩٥

[٨٧]- نزعة الانسنة ، مرجع سابق ،ص ٢٣١

الجماعي والتغلب على الشعور بالعبثية.[٨٨]

- **السعادة أو ترتيب السعادات**

يعد من كتب مسكويه الفلسفية، تناول فيه ترتيب السعادات ومنازل العلوم وذُكِرَ هذا الكتاب مرتين في كتاب تهذيب الأخلاق وهو يحتوي تصنيفا للعلوم تمت كتابته تقريبا بين عامي ٣٥٨ و٣٦٠ وذلك في زمن ابن العميد حيث كان مسكويه مهتما بالعلوم الدقيقة فعمل هذا التذكير، في طبعة الكتاب الثانية عام ١٩٢٨ لعلي الطوبجي السيوطي لم تقدم أي معلومات في بداية الطبعة عن المخطوطات التي تم الرجوع إليها لطباعة الكتاب، والمقدمة الطويلة تتحدث عن موضوع السعادة كأنها موعظة أخلاقية أو دينية ابتعدت عن النص الأصلي لمسكويه بما يحتويه من فلسفة.[٨٩]

تلخص موضوع الكتاب بأن كل فرد في هذه الحياة له مفهوم خاص في السعادة لأن سعادة الفيلسوف أو الحكيم تتميز عن بقية السعادات أو عن مختلف السعادات أو عن غيرها من السعادات أنها تتوافق مع الغاية من خلق الإنسان العام، وفي شرح الغاية من الخلق فالغاية من الخلق هي القدرة على التمييز بين الصحيح والخاطئ، والوصول إلى حقائق المواضيع وهي تتطلب وجود نفس قوية حيث تمتلك جزئيين جزء عملي وجزء نظري يسبق الجزء العملي هو من أراد النظر في هذه الأجزاء عليه أن يدرس العلوم وفقا للنظام المتفق من قبل الفلاسفة خاصة أرسطو[٩٠].

- **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**[٩١]

وهو كتاب في التاريـخ وللكتاب أهمية كبيرة فيما يتعلق بالجزء الأخير منه، وهي ترجع إلى ما ذكره مسكويه حيث أكد أنه مما شاهده، وخبره، وحصل، وجرى بمرآي ومسمع منه[٩٢]، وأنه كما يقول الدكتور محمد لطفي جمعة: "لا يعتبر تاريخا محضا، إنما هو كتاب تجري فيه ذكر الحوادث بأسبابها ونتائجها، فيصح أن يقال: أنه كتاب تاريـخ بشكل

٨٨- نزعة الانسنة ، مرجع سابق ،ص ٢٣٢

٨٩- نزعة الأنسنة ، مرجع سابق ،ص٢١٣

٩٠- نزعة الأنسنة ، مرجع سابق ، ص ٢١٤

معجم الأدباء ٢، مرجع سابق، ص٤٩٥-

٩٢- مسكويه ، تجارب الأمم ، جزء ٢، مرجع سابق ، ص١٣٦

فلسفي[٩٣].

الكتاب مهم بعد تاريـخ الطبري وهو يستمر حتى الفترة التي مات فيها عضد الدولة أي العام ٣٧٢هـ، والكتاب يعتمد بعد العام ٢٩٥ على مصدر أخر غير الطبري ومن العام ٣٤٠ يعتمد على الروايات، ونقل الأخبار على الناس الذين شاهدوا هذه الأحداث[٩٤].

الكتاب يعرض التاريـخ لكن على طريقة مسكويه الخاصة فهو لا يتطرق لتاريـخ بداية الإسلام والدعوة المحمدية إلا في عدد محدود من الصفحات، فالكتاب يحمل في طياته الحكمة التي أراد مسكويه إيصالها أكثر من تركيزه على رواية الأحداث التاريخية فهو يعرض السياق التاريخي للأحداث التي عاصرها من وجه نظر اتخاذ العبرة والحكمة من هذا العرض، وليس من أجل عرض الحالة الاجتماعية أو السياسية للفترة التي كتب عنها بالرغم من أهمية الكتاب ككتاب تاريخي له أهمية مما حدا بالبعض بوصف مسكويه مؤرخا، لكن الغاية من تأليف الكتاب وعرض الأحداث، والكوارث كتبت بطريقة يعرض فيها مسكويه للإجراءات والتدابير التي تم اتخاذها لتفادي أو الخروج من هذه الأزمات[٩٥] كما ويعرض العواقب والنتائج للتصرفات الطائشة والغير محسوبة، ولنوضح هذه النقطة ففي الكتاب يذكر سوء تدبير بختيار للمملكة ولنفسه أيضا مما أثر سلبا على جند وجعل أعدائه يطمعوا فيه، ويشرح مسكويه السبب، ويعزوه لمخالفة بختيار وصايا والده، وعبثه، ولعبه، ومصاحبة النساء، والمغنيين ... و ذكر مسكويه عواقب ما فعله بختيار[٩٦].

وعليه نستطيع تأكيد الغرض من تأليف الكتاب ليس فقط الاهتمام بالجانب التاريخي بل التعلم من التاريـخ للحاضر والمستقبل.

- **رسالة في ماهية العدل**

كتبها عندما سأله أبو حيان في الهوامل والشوامل عن الظلم وكان رد مسكويه مختصرا أنه انحراف العدل ولأنه رأى أن المسألة تحتاج لتعمق أفرد لها هذه الرسالة شارحا فيها ماهية العدل، وخصائصه، وأقسامه، وحدد معاني العدالة الكونية، والإلهية، والحسابية في

٩٣- جمعة ، تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق و المغرب ، مرجع سابق، ص٣١٩-٣٢٠

٩٤- الحكمة الخالدة، مرجع سابق، ص٢٢

٩٥- نزعة الأنسنة، مرجع سابق، ٢٨٣

٩٦- تجارب الأمم الجزء ٦، مرجع سابق، ص ٢٣٤

كل معانيها منطلقا من مفهوم الوحدة، والتوازن؛ هذا التوازن الذي اذا حضر في ملكات النفس الثلاث حضر أيضا في بين أفراد المجتمع وكل ما يشكل الكون.

ومن هنا نرى تصور مسكويه الشامل لمفهوم العدالة موروثا عن أفلاطون وفيثاغورس وأرسطو، و هذه المخطوطة موجودة بمشهد في ايران وهي مخطوطة وحيدة.[٩٧]

و مسكويه بتتبعه لأقسام العدل على طريقة أرسطو نجده قسم العدل إلى ثلاث أقسام:

العدل الإلهي، والعدل الوضعي، والعدل الطبيعي، وأضاف مسكويه العدل الطبيعي ليرسخ أفكار أرسطو داخل البيئة الإسلامية ويعيد بلورتها بما يناسب هذه البيئة[٩٨].

- **أربع رسائل فلسفية**

هي عدة نصوص محفوظة في مجلد تحتوي عدة عناوين مثل رسالة في الألم رسالة في الذات والألم رسالة في الطبيعة رسالة في جوهر النفس والعقل لا يوجد تاريخ محدد لكتابة هذه الرسائل لأنه تستشهد ببعض نصوص أرسطو.

أجوبة و أسئلة في النفس والعقل: وهي جواب لسؤال عنهما واختصار العنوان رسالة في النفس والعقل،[٩٩] يوجد في مكتبة راغب بإستنبول.[١٠٠] ومن رسالة في اللذات والآلام في جوهر النفس: لها مخطوط بإستنبول.[١٠١] ومن رسالته في الطبيعة.

- **مقالة في النفس**

في إثبات الصور الروحانية التي لا هيولي لها من كلام أرسطو طاليس.[١٠٢] أورد عبد الرحمن بدوي مجموعة من الكتب التي تم ذكرها في كتاب معجم الأدباء منها أنس الفريد وهو مجموعة حكم وأخبار وأمثال.

---

[٩٧]- نزعة الانسنة، مرجع سابق، ص٢٢٣

[٩٨]- سيباستيان غونتر،الفيلسوف و المؤرخ مسكويه بين التلقي و التأويل في ضوء الخطاب الأخلاقي، مرجع سابق،ص٤٦١

[٩٩]- نزعة الانسنة ، مرجع سابق ٢٢٤

الحكمة الخالدة، مرجع سابق ٢٣ -

[١٠١]- الحكمة الخالدة، مرجع سابق، ص ٢٣

[١٠٢]- نزعة الانسنة ، مرجع سابق،ص٢٢٣

كتاب ترتيب العادات وكتاب المستوفي و هو أشعار مختارة و كتاب السير.[١٠٣] كما يوجد كتاب في الأدوية المفردة، و كتاب في تركيب الباقات من الأطعمة، وكتاب الأشربة[١٠٤].

- **وصية مسكويه:**

هذه الوصية بدأها مسكويه بالبسملة ثم عاهد نفسه وهو لا تدعوه ضرورة وحاجة لهذا العهد، حيث كان يتمتع بالأمان من الناحية البدنية، والنفسية، ولم يكن يريد منها منفعة لشخصه بل أراد إصلاح نفسه والتغلب على نفسه.

- **نسخة وصية أبي علي مسكويه**

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد عليه أحمد بن محمد، وهو يوم إذا آمنُ في سربه، معافى في جسده، عنده قوتُ يومه، لا تدعوه إلى هذه المعاهدة ضرورةُ نفس ولا بدن، ولا يريد بها مراءاة مخلوق، ولا استجلاب منفعة، ولا دفعَ مضرة منهم: عاهده على أن يجاهد نفسه، ويتفقد أمره، فيعف ويَشجُع ويَحكم، وعلامة عفته أن يقتصد في مآرب بدنه حتى لا يحمله الشره على ما يضرُ جسمه أو يهتكُ مروءَته، وعلامة حكمته أن يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة، ليصلحَ أولاً نفسه ويهذبها، ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة. وعلى أن يتمسك بهذه التذكرة ويجتهدَ له في القيام بها والعمل بموجبها، وهي خمسة عشر بابا: إيثار والحق على الباطل في الاعتقادات، والصدق على الكذب في الأقوال، والخير على الشر في الأفعال، وكثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائمة بين المرء ونفسه، والتمسك بالشريعة ولزوم الثقة بالناس بترك الاسترسال، ومحبة الجميل لأنه جميلٌ لا لغير ذلك فصل والصمت في أوقات حركاتِ النفسي للكلام حتى يستثار في العقل، وحفظ الحال التي تحصل في شيء حتى تصير مَلَكةً ولا تفسدُ بالاسترسال، والإقدام على كل ما كان صوابا، والإشفاق على الزمان الذي هو العمر لِيُستَعمَلَ في المهم دون غيره، وتركُ الخوف من الموت والفقرِ لعمل ما ينبغي، وترك التوان، وترك الاكتراث لأقوال أهلِ الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم، وترك الانفعال لهم، وحسن احتمال الغنى والفقر والكرامة والهوان لجهةٍ وَجهة، وذِكرُ المرضِ وقت

[١٠٣]- الحكمة الخالدة ، مرجع سابق ،ص ٢١ و انظر معجم الأدباء ٢، مرجع سابق، ص٤٩٦
[١٠٤]- الحكمة الخالدة ، مرجع سابق ،ص ٢٢

الصحة والهمِ وقت السرور والرضا عند الغضب ليقلَ الطغيُ والبغي، وقوة الأمل وحسن الرجاء والثقة بالله عز وجل وصرف جميع البال إليه.[١٠٥] هذه الوصية بدأها مسكويه بالبسملة ثم عاهد نفسه وهو لا تدعوه ضرورة و حاجة لهذا العهد، حيث كان يتمتع بالأمان من الناحية البدنية والنفسية ولم يكن يريد منها منفعة لشخصه بل أراد إصلاح نفسه، ولا حتى أبعاد أذى عنها أي كان بكامل قواه العقلية والجسدية والنفسية لقرر أن يكتب هذه الوصية، و هذا العهد قُسم إلى عدة أبواب تُمثل إرشادات لمن يريد السير على منهج منظم و متوازن لحياته، فهو يبدأ بتنظيم الجوانب الجسمانية حيث الاقتصاد في مآرب الجسد ثم تنظيم الجانب العقلي حيث الاستبصار في الاعتقادات، ثم ينتقل إلى تحصل المعارف، وبعد ذلك يفصل الطريقة التي يتم بها هذا التنظيم في الأبواب الخمسة عشر.

خاتمة الفصل:

تم ذكر العصر الذي عاش فيه مسكويه والظروف التي أحاطت به في نشأته وشبابه، فهذه الظروف والعوامل هي التي أثرت في تفكيره ولنقل أثرت وأغنت هذا التفكير فالأشخاص الذين أحاطوا بمسكويه سواء أصدقائه مثل التوحيدي، أو المناصب التي شغلها في ظل الدولة البويهية والتي جعلته يراقب عن كثب أحوال الناس ويشهد الأوضاع الصعبة التي عانوا منها طورت لديه حسا بناءً، ليكتب في موضوعات مختلفة أبرزها الأخلاق والتربية، والتي هي موضوعنا حيث سيتم التطرق إلى البرنامج الذي وضعه مسكويه في الأخلاق والتربية لإنقاذ المجتمع بالتركيز على الإنسان حيث سيتم تعرف على صناعة الأخلاق والفضائل والخير والشر والأخلاق الاجتماعية من وجهة نظر مسكويه، وقد بدأ مسكويه هذه المهمة بنفسه خلال وصيته التي مرت سابقا.

يعد ابن مسكويه عقلية فلسفية كبيرة ، بما تتميز فلسفته من قيم عامة و أخلاقية بخاصة،

خصوصاً فيما تركه في كتاب تهذيب الأخلاق ، عدا عن مؤلفاته الآخرى .

صناعة الأخلاق ،يعرض فضائل النفس وهي : الحكمة، العفة، الشجاعة، العدالة.

قال أحمد بن محمد بن مسكويه في غاية تأليف كتاب تهذيب الأخلاق "أن نحصل لأنفسنا

[١٠٥]- ياقوت ، معجم الأدباء ، مرجع سابق ،ص٤٩٩

خلقا تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة"١٠٦ ، و الطريقة التي يتم بها هذا التحصيل هي طريقة سهلة لا صعوبة فيها و لا نصب ، بطريقة إن وصفناها بوقتنا الحاضر نصفها بكلمة أكاديمية فهو يرى أن الأخلاق تُعلم لأنها صناعة ، بما أنها صناعة الأخلاق فالمقصود منها تجويد أفعال الإنسان و تهذيبها حسب و رودها في السياق ،ويمكن ذلك عن طريق علمي بترتيب وتنظيم ١٠٧.

في البداية فإن تعريف كلمة خُلق حسب ابن منظور هو الدين والطباع والسجية ١٠٨، أما مسكويه عَرف الخُلق :"حال النفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر و لا روية."١٠٩. بالتالي هو علم يبحث في النفس الإنسانية ، و ما يتصل بهذه النفس و حالها و طبيعتها و وظائفها و الأسباب التي تتحكم بها .

إن الاتجاه الذي يتبعه مسكويه في فلسفته هي الأخلاقية التربوية هو الاتجاه العقلي مثل إبن سينا والمعتزلة١١٠

نبدأ بالتعرف على النفس مما هي؟ و لمَ وُجدت ؟ وغاية هذه النفس، وما يهذبها وما يدسيها ؟.

النفس عند مسكويه :

من الصعب أن نتعرف على الفكر الأخلاقي و التربوي لدى مفكر أو فيلسوف دون معرفة رأيه في طبيعة الإنسان ، لأن الإنسان هو مادة التربية الأولى .

تحدث مسكويه عن النفس بكتاب الفوز الأصغر مبينا أنها جوهر قائم بذاته ، فهي ليست

---

١٠٦ - ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق ،(حققه غريبة ابن الخطيب)،مكتبة الثقافة الدينية، بيروت،١٣٩٨، ص٩

١٠٧ - ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق ،(حققه غريبة ابن الخطيب)،مكتبة الثقافة الدينية، بيروت،١٣٩٨، ص١٠

١٠٨ -دوز،كريمة،الأخلاق بين الاديان السماوية و الفلسفة الغربية،دار الكتاب للنشر و التوزيع،الاسماعيلية،مصر،٢٠١٦،ص٢٧

١٠٩ - ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق ،(حققه غريبة ابن الخطيب)،مكتبة الثقافة الدينية، بيروت،١٣٩٨، ص٤١

١١٠ -مرسي،محمد،التربية الاسلامية أصولها و تطورها في البلاد العربية،دار المعارف،١٩٨٧،ص٩٩

جسم بل تختلف عن الجسم فهي لا تفنى ،فهي باقية بعد مفارقة البدن ١١١، و البدن يتبع الجسم ، و النفس هي القائد له و المسيطر عليه ١١٢

النفس عند مسكويه تختلف عن البدن ، البدن هو مصدر المحسوسات ، والنفس هي التي تدرك ما تستقبله من هذه المحسوسات والحكم بالصدق أوالكذب على ما تستقبله يرد إلى العقل لأن النفس تستدرك شيئا كثيراً من خطأ الحواس من ذلك ما يخطئ فيه البصر من قريب و بعيد ١١٣، و النفس لا تقاس بالجسم فهي ليست الجسم و لا جزء منه بل هي شيئ آخرمفارق للجسم بجوهره ١١٤، و عليه فإن مسكويه يُقسّم الطبيعة الإنسانيه إلى نفس و جسم ، لكل منهما حاجاته و النفس عنده أسمى من الجسم فهي جوهر بسيط غير محسوس بشيء من الحواس ، وهي مُفارقة للجسم .

للنفس شوق لأَفعالها الخاصة بها: للعلوم و المعارف مع هربها من أفعال الجسم

الخاصة به ، و الفضائل الخاصة بها التي تميزها عن سواها من الموجودات، يحصل عليها الإنسان من الإبتعاد عن الرذائل، فالطعام و الشراب و سائر اللذة يتشاركه الإنسان مع الحيوان و الطير.

أما الفضائل فهي الأمور الإرادية التي تتعلق بها قوة الفكر و التمييز بما يسمى

الفلسفة العلمية . و إرادة الإنسان هي التي توجهه نحو الخير أو الشر فنفسه هو أقدرعلى التحكم بها بما يريد. ١١٥

قسم مسكويه اعتبارياً قوى النفس إلى ثلاث متباينة في القوة بحسب المزاج أو العادة أو التأديب . القوة الناطقة و آلتها الدماغ ، و القوة الشهوية و آلتها الكبد و القوة الغضبية و آلتها القلب ،هذه القوة لها حركة متى حصلت بالطريقة المعتدلة حصلت النفس على الفضائل الأَربعة و هي الحكمة و العفة و الشجاعة و العدالة.

---

١١١ - ابن مسكويه ، أبي علي أحمد،الفوز الاصغر ، (حققه طاهر أفندي الجزائري)، مطبعة السعادة ، محافظة مصر،١٣٢٥،ص٢٧

١١٢ - االمصدر السابق ،ص ٢٩

١١٣ - مسكويه ، تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ،ص١٦

١١٤ - مسكويه، تهذيب الأخلاق،مصدر سابق، ص ١٧

١١٥- مسكويه ، تهذيب الاخلاق ، مصدر سابق ،ص ١٩

هذا التقسيم أشبه بتقسيم أفلاطون للنفس البشرية في ثلاث قوى ،الحكمة و هي أول الفضائل ،و ترتبط بالعقل ، تُزينه بالحق ،والقوة الثانية الشهوانية ترتبط بالعفة فتبقي النفس ساكنة ، و بين هذين الطرفين القوة الغضبية وترتبط بفضيلة الشجاعة ،هي قوة السيطرة ومحاولة السيادة والرئاسة على الآخرين تخاف الألم و تقاوم اللذة ١١٦، و إجتماع هذه الفضائل بتناسق و توازن يسميه افلاطون العدالة ، فهي حالة من من النظام بين اجتماع هذه القوى و ينعكس على علاقة الأفراد في علاقتهم مع الآخرين ١١٧

قوى النفس الثلاث: البهيمية و السبعية ،والناطقة وهي أشرفها .شبه من يتبع القوة البهيمة بالحيوان ووضع درجات للحيوانات من حيث قابليتها للتأدب وهكذا قوى النفس بتأدبها إنما تتهذب وترتقي .والواجب على الإنسان العاقل الذي أدرك نقصا سواء في غذائه أوملبسه بما يتناسب مع قوام الحياة ، أن يقوم على غذاء النفس وتقويمها ويتم له ذلك بالعلم والصدق وآداب الشريعة والحساب والهندسة. وأخذ الحكمة وإنتهاج الصراط المستقيم. ١١٨

شبه النفوس الثلاث بملك و سبع و خنزير تتحد و تتصل بخلاف إتصال الجسد . بل أحوال بحسب القوى المحركة لها ، و قسم مسكويه هذه النفوس (بحسب القوى المحركة لها) من حيث قبول التربية إلى ثلاث أقسام :

١- فالنفس الناطقة هي الأديبة الكريمة ٢- النفس البهيمة هي العادمة للأدب ، ٣- الغضيبة فهي من عدمت الأدب لكنها تتقبله١١٩، و هنا تتضح لنا نظرته للأخلاق و الأُسس التي يرتكز عليها في فلسفته الاخلاقية من الانسجام و التوافق بين عناصر النفس المختلفة ١٢٠،بحسب سيطرت الإنسان على نفسه و توجيهه لقوة نفسه و بذلك تسود النفس على أحواله كلها.فمن أهمل سياسة نفسه العاقلة خسر، ومن عرف شرفها فأحسن تأديبها وصل بها إلى الآداب و إكتسب الفضائل .١٢١

---

[١١٦]- غالب،مصطفى،أفلاطون،دار مكتبة الهلال،بيروت،١٩٨٨،ص٦٩

[١١٧] - المصدر نفسه ،ص٧٠

[١١٨] - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ،ص٥٦

[١١٩] - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ص٥٧

[١٢٠] -عزت،عبد العزيز،ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها،شركة مكتبة و مطبعة مصطفى الباني الحلبي و أولاده،مصر،١٩٤٦،ص٢٢١

[١٢١]- مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ص ٥٨

في ضوء ما سبق نرى مسكويه يعتبر الإنسان محور العملية الاخلاقية و التربويه ويتكون من عناصر مترابطة لا يمكن فصلها عن بعضها ،و التربية السليمة تراعي احتياجات كل عنصر من هذه العناصر ، فلا تهمل أي جانب من جوانب الإنسان .

النفس : أول رتب الفضائل : السعادة التي تتأتى من صرف الإرادة إلى مصالحهِ في العالم المحسوس الملتبسة بالأهواء و الشهوات ،الرتبة الثانية يصرف فيها الإنسان إرادته و محاولته لإصلاح النفس و البدن من غير التباس الأهواء و الشهوات و هي تختلف باختلاف الطبائع و العادات و الهمم و المعرفة ثم تتزايد هذه الرتب للوصول إلى الفضيلة الالهية التي لايكون فيها تشوق لآت ولا تلفت لماض ، فالناس في السعادة درجات مختلفون كلٌ له رتبة حسب أحوالهم و صنعاتهم و مراتبهم في العلوم ١٢٢. من الجدير ذكره أن هذا الفضائل لها أضداد الجهل و الشَرَه و الجبن والجور،و تحت كل نوع أجناس كثيرة تحدث أمراض نفسية ،كالخوف و الحزن و الغضب و أنواع العشق الشهواني و ضروب سوء الخلق ١٢٣

-الفضائل الخلقية الأربع:

نجد لدى مسكويه تحليل معمّق لهذه الفضائل الأربعة وما يتفرع عنها من أقسام وفروع، و هذه الفضائل الأربعة الأساسية يقسمها مسكويه بطريقة أرسطو، فضائل تُكتسب بالتمرين و لا يمكن للإنسان أن يعيش ضمن المجتمع دون هذه الفضائل ١٢٤.

أولاً: فضيلة الحكمة:

هي فضيلة النفس الناطقة المميزة، التي عليها أن تعلم الموجودات كلها، من حيث هي موجودة ، الحكمة هي وسط بين السَفَه والبُله والمقصود بالسفه ههنا إستعمال القوة الفكرية فيما غير موضعها ، والبله يتحصل عن طريق الإرادة بعدم استعمال القوة الفكرية ١٢٥، وأنواعها التي تعد فضائل أيضا: الذكاء، الذكر، التعقل، صفاء الذهن ،جودة الذهن، سهولة التعلم وبهذه الأشياء يكون الاستعداد للحكمة ١٢٦

١٢٢ - ابن مسكويه،السعادة،ط٢،(بقلم سيد علي السيوطي)،المطبعة العربية بمصر،مصر،١٩٢٨،ص٣٧
١٢٣ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ص ٩٩
١٢٤ - ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها، مصدر سابق ،ص ٢٧٦
١٢٥ -ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ، ص٢٨٨
١٢٦ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص٢٧

و أما الذكاء فهو وسط بين الخبث و البلادة ، فإن أحد الطرفين إفراط والآخر تفريط، فالخبث والدهاء هو زيادة في درجة الذكاء ، والبله والعجز والبَلادة هي فقر و قِلة ذكاء وصعوبة في استيعاب و فهم و ادراك المعارف .

وأما الذكر فهو وسط بين النسيان الذي يكون بالاستهتار والتقصير في ما يُراد أن يُحفظ وبين الاهتمام بما لا يُراد أن يحفظ.

وأما التعقل وهو حسن التصور فهو وسط بين فهم طبيعة الشيئ و ادراكها كما هي و بين تصور حقيقة الشيئ بأكثر مما هو عليه في الظاهر، وأما سرعة الفهم فهي وسط بين سرعة تصورو تَمَثُل الشيء من غير التروّي و الفهم. وبين تخفيف السرعة عن فهم حقيقته. وأما صفاء الذهن فهو وسط بين غموض النفس وتَكتُمها عن إستخراج المقصود وبين اشتعالها و توقدٍ يعرض فيها فيمنعها من استخراج المقصود، وأما جودة الذهن وقوته فهو وسط بين الإفراط في التفكروالتدبر لما لزم مما تقدم حتى يخرج منه إلى غيره وبين التفريط فيه حتى يتهاون و يتراخى عنه.

وأما سهولة التعلم فهي وسط بين السرعة و التسابق إليه بسلاسة سهولة و ليونة تَثبتُ معها صورة العلم وبين تَعسُّره وتعذّره[١٢٧]. و هكذا نرى مسكويه قد عرض و فصل الفضائل الفرعية التي تندرج تحت فضيلة الحكمة ، وهي فضائل عقلية تتعلق بالعمليات التي تجري داخل الدماغ فهي فضائل تتعلق بالادراك و التعلم و التفكير و الانتباه و التذكر ، لهذا ففضيلة الحكمة تتبع النفس الناطقة .

ثانياً: فضيلة الشجاعة:

هي فضيلة النفس الغضبية، وتظهر في الإنسان بحسب انقيادها للنفس الناطقة المميزة واستعمال ما يُوجبه الرأي في الأمور الهائلة [١٢٨] يعني أن لا يخاف من الأمور المفزعة إذا كان فعلها جميلا و الصبر عليها محموداً، وأنواعها أو الفضائل التي تندرج تحتها: كبر النفس. النجدة. عظم الهمة. الثبات. الصبر،والحلم،وعدم الطيش،والشهامة،واحتمال

[١٢٧] -ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ، ص٢٨٩

[١٢٨] - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ص٢٧

الكد١٢٩.

الشجاعة هي وسط بين رذيلتين هما الجبن وهو الخوف في ما لا ينبغي أن يقدم عليه والتهور، أما التهور فهو الإقدام على ما ينبغي أن يقدم عليه"١٣٠، و هذا الوسط الذهبي مُستمد من فلسفة أرسطو الاخلاقية.

والفرق بين الصبرفيها والصبر الذي في العفة أن هذا يكون في الأمور الهائلة وذلك يكون في الشهوات الهائجة،أما كبرالنفس فهو الإستهانة باليسير والإقتدارعلى حمل البغض و المقت فصاحبه أبدا يؤهل نفسه للأمور العظام مع استخفافه لها. وأما النجدة فهي ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع. وأما عظم الهمة فهي فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت. وأما الثبات فهو فضيلة للنفس تقوى بها على إحتمال الآلام ومقاومتها في الأهوال خاصة. وأما الحلم فهو فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شغبة ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة.

وأَما السكون الذي نعني به عدم الطيش فهو إما عند الخصومات وإما في الحروب التي يذب بها عن الحريم أو عن الشريعة. وهو قوة للنفس تقسر حركتها في هذه الأحوال لشدتها. وأما الشهامة فهي الحرص على الأعمال العظام توقعا للأحدوثة الجميلة. وأما احتمال الكد فهو قوة للنفس بها تستعمل آلات البدن في الأمور الحسية بالتمرين وحسن العادة.

هذه الفضائل يجب أن تُختار لنفسها وذاتها وقيمتها التي تحدثها للانسان ، إن الانسان الشجاع الذي يستهين فيما يستعظمه الناس حتى لو كان أمراً جليلاً مثل الموت يكون انتقامه أو غضبه بقدرفلا يزيد او ينقص فكل شيء عنده بالحد المطلوب١٣١. و هذه الآراء عن الغضب و تهذيبه بالتمرين و حسن العادة و التدريب إنما هي آراء أقتبسها مسكويه عن جالينوس ١٣٢

وننتبه هنا لبعض الأفعال التي يبدو أنها صفات شجاعه وهي ليست من صفات الشجاعه كمن يباشر حرباً لحبه للمال أو يكون سببها ومصدرها الرئيسي نابعاً من خوف او حسد او

---

[١٢٩] مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ص٣٠

[١٣٠] - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ٣٦

[١٣١] - ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ،ص٢٩٤

[١٣٢]- الجابري ،محمد،العقل الأخلاقي العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،٢٠٠١،ص٤١٠

عشق فبعض الناس ممن يخافون الأهل أو السلطان يكون هذا مصدر شجاعتهم والبعض يقدم على الاخطار بسبب حسده أقرانه ليجاريهم والبعض يكون سبب شجاعته طلب العشق وليس لأنه فضيلة الشجاعه عكس الجبن فالجبان يقتل نفسه خوفاً من ذل أو فقر إنما الشجاع يصبر على الشدائد ١٣٣.

يعرف مسكويه الغضب إنه" حركة للنفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة للانتقام"١٣٤، هذا التعريف وهذه الحركة العنيفة في القلب الذي يحدث فيها اضطراب للعقل فلا يستطيع أن يفكر فيصير صعب التحكم به لإنه مثل النار يُعمي الإنسان عن الطريق الصحيح ولا تفيد معه الموعظة بل يزداد غضبا و تهيجا . الغضب يختلف من شخص لآخر حسب مزاجه فهناك بعض الأشخاص يكون سريـع الغضب عنيفا كالكبريت أما أصحاب المزاج الهادئ فهم أبطأ في شدة الغضب إلا إنه إذا غضب تقارب من صاحب الغضب السريـع في الشدة وكل السبل لإزالة هذه الغضب تكون نتيجتها عكسية فهي تزيده اشتعالا كمن يضع حطبا على النار لذلك نتائج الغضب دائما سيئة توقع صاحبها في الندم والألم و ابتعاد الناس عنه١٣٥ ،لذلك يرى مسكويه إن علاج الغضب يكون بإزالة أسبابه والعوامل التي تؤدي إليها فيكون العلاج مبدئيا لا في ساعة ولحظات وقوع الغضب وأسباب الغضب ، يطلعنا مسكويه عليها و هي العجب والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والغدر والضيم وطلب الأمور التي فيها عزة وتتنافس الناس فيها وشهوة الانتقام .وإذا استطاع الإنسان أن يقلل هذه العوامل ويبتعد عنها استطاع أن يسيطر على غضبه فيكون بالهم هادئا ولم يتعرض لما يسببه له الغضب من نتائج سلبية فهو يرى العلاج بالوقاية من الأسباب فمثلا العجب يعرفه مسكويه أنه اعتقاد الشخص إنه في مرتبة أفضل وأعلى ويضع لنفسه استحقاقاً كبيرا لا يناسبه والعلاج بمعرفة عيوب الشخص لأن الفضائل مقسومة بين الناس وهم يتكاملون فيها فكل شخص يكمل الآخرب بفضائله ولايعجب أحد بنفسه ١٣٦.

و أمّا الافتخار هو الزهو بما يصيبه الإنسان من أملاك ومقتنيات ، ويرى مسكويه أن الافتخار ليس بحسب ونسب ومقتنيات إنما قوة النفس وابتعادها عن مغريات الحياة .

---

١٣٣ - ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ،ص٢٩٤

١٣٤ -تهذيب الاخلاق،مصدر سابق ،ص٢١٣

١٣٥ - ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ،ص٣٢٤

١٣٦ - ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ،ص٣٢٤

وأمآ االمراء والهياج هو من أسباب الغضب بين الأصدقاء فهي ضد الألفة وتؤدي إلى الفرق و المزاح إذا زاد عن حده يصيرسببا بإثارة الغضب أما التيه هو قريب العُجب وعلاجه كعلاج العجب ١٣٧، الاستهزاء هو من عادات أهل الفسق والمجون من أصحاب النفوس الصغيرة عكس الفضلاء الذين يبتعدون عن هذا المقام.

و أمآ الغدر فمذموم و محتقرعند الناس وهي رذيلة النفس المنحطة عكسه الوفاء والإنسان الذي يضرب صاحبه ينحط إلى أسفل مراتب الإنسانية، بالنسبة لطلب العزة مما يتسابق إليه الناس من طلب أمورا تتعرض للسرقة والتلف وتجنب الخسران والجزع مثل المجوهرات و غيرها مما يتعرض للفقد و الخراب ، هي آفة تكدر النفس تورثها الكآبة والألم١٣٨ .

الشجاعة هي فضيلة النفس الغضبية ، ربط مسكويه بينها و بين الغضب ، فعدّ الفضائل مثل الصبر و الثبات و الحلم من صفات الإنسان الشجاع ، فالشجاع في نظره شخص يستطيع التحكم في إنفعالاته فلا يغضب و يثور لأتفه الأسباب بل يتروى و يفكر قبل اتخاذ أي خطوة أو قرار حتى لا يأتي بتصرف يتدم عليه لاحقا ، و أظهر شخصيته كطبيب حيث ذكر العِلة و وصف الدواء لهذه العِلة فقال إن الدواء يتم بإزالة جذر هذه العلة و استئصاله أي بإزالة أسباب الغضب ، لا علاج العارض فقط بل الأسباب العميقة فضيلة العفّة:

يرى مسكويه أن العفة ليست فقط فضيلة بل هي شرط كل فضيلة فبدونها لا تكتمل أي فضيلة ١٣٩، وهي المقصود بها فضيلة الحس الشهواني فالعفة وسط بين الشَرهَ وخمود الشهوة ، أما الشره فهو الانهماك في اللذات ، وخمود الشهوة هو السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة الجميلة .

يقول ارسطو في كتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس الاعتدال في التوفيق بين أحكام العقل والشهوة و قوة الشهوة يجب أن تتبع العقل العفيف فهومن يسيطرعلى شهواته، و أَن قوة العقل في العفة تهدف إلى قطع الشهوات وترتيب و توجيه تصرفات وميول الإنسان ظاهريا وباطنيا ١٤٠

---

١٣٧ - ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ،ص٣٢٦

١٣٨ - ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ،ص٣٢٧

١٣٩ - بدوي،عبدالرحمن،الاخلاق النظرية،وكالة المطبوعات ،الكويت،١٩٧٥،ص١٨١

١٤٠ - بدوي،عبدالرحمن،الاخلاق النظرية،وكالة المطبوعات ،الكويت،١٩٧٥،ص١٨٢

و الفضائل تحت العفة: "الحياء،والدعة،والصبر،والسخاء،والحرية،والقناعة،والدماثة،والمسالمة،والوقار،والورع" ١٤١.

أما الحياء فهو إنحصار النفس خوف إتيان القبائح والحذر من الإساءة و الانتقاص و هو بين الخرق و الوقاحة يتوسط هاتين الرذيلتين ، وأما الدعة فهي هدوء النفس عند حركة الشهوات. وأما الصبر فهو جهاد النفس لرغباتها و شهواتها حتى لا تنساق وراء اللذات وأما السخاء فهو التوسط في المنح و البذل وهو أن ينفق الأمور فيما يستحق الانفاق بمقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي و هو أيضا وسط بين البخل و التبذير. وأما الحرية فهي فضيلة للنفس بها تُحصل بها المال من وجهه ويعطي في وجهه وتكف عن اكتسابه من غير وجهه. وأما القناعة فهي التساهل في المآكل والمشارب والزخرف و الزينة. وأما الدماثة فهي حسن طاعة النفس لما هو سوي وتسرعها إلى الجميل و الحسن. وأما الإنتظام فهو حال للنفس تقودها إلى حسن توقع الأمور و تنظيمها كما ينبغي. وأما حسن الهدى فهو شوق إتمام النفس بالزينة الصالحة الجميلة. وأما المسألة فهي مصالحة تحصل للنفس عن مواهب و ملكات لا اضطرار فيها. واما الوقار فهو ثبات النفس و سكونها و هدوئها عند الحركات التي تكون في المطالب، وأما الورع فهو لزوم الأعمال الصالحة التي فيها تمام النفس.و بعد تحديد مسكويه لأجزاء العفة فإنه لا يحدد هذه الأطراف بل يترك القارىء لهذه المهمة ١٤٢.

رابعاً: فضيلة العدالة:تكون بانسجام الفضائل الثلاثة الأولى ،هذه الفضائل تتم اذا ما تعدت صاحبها لغيره ،مثل العلم الذي يسمى صاحبه مستبصرا فإنه يحتشم و يرجى في الدنيا و الآخرة . و لهذه الفضائل أضداد هي الجهل و الشهره و الجبن و الجور التي تحدث أمراض نفسية مثل الخوف و الحزن و القلق و التعلق و سوء الخلق . و لا يعرف الإنسان فضائله أو رذائله إلا بمخالطة غيره من الناس و التفاعل معهم و مساكنتهم ١٤٣،وهي وسط بين رذيلتين هما الظلم والإنظلام، الظلم فهو التوصل إلى زيادة الممتلكات و المقتنيات من

١٤١ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص٢٧و٢٨
١٤٢ - ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ،ص٢٨٩
١٤٣ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ٣٨

حيث لا يجب كما لا يجب،وأما الإنظلام فهو الضعف والاستماتة في المقتنيات لمن لا يجب وكما لا يجب أو يجوز ١٤٤، لهذا فالجائر له أموال طائلة حصلها بطرق غير شرعية.

أما الفضائل التي تحت العدالة فهي:" الصداقة، والألفة،وصلة الرحم،والمكافأة،واستعمال اللطف،وركوب المروءة في جميع الأحوال، وحسن التودد،وترك المعاداة،والبحث عن سيرة من يحكى عنه العدل"١٤٥.

ويلاحظ أن مسكويه يستخدم لفظ " العدالة " بمعنيين يقصدهما تماماً:

١-هو الاعتدال والتوسط والاتزان بين تلك الفضائل الكبرى (الحكمة،الشجاعة، العفة) وعدم طغيان قوة على أخرى، فهي إذن عدالة داخلية أو باطنية في النفس الإنسانية.

٢-هو المعنى الاجتماعي المضاد للظلم، باعتبار الإنسان مدني بالطبع١٤٦.

يعطي مسكويه فضيلة العدالة المقام الأول ويصفها بالتمام،والشرف، فهو يقول:"ولما كانت العدالة: وسطاً بين أطراف،وهيئة يقتدر بها على رد الزائد والناقص إليها: صارت أتم الفضائل وأشبهها بالوحدة. وأعني بذلك: أن الوحدة التي لها الشرف الأعلى،والرتبة القصوى"١٤٧ ،لأنها توجد فيما بين الفضائل كلها،وهي شرط أساسي لها، فالعفيف لا يمكن أن يكون عفيفاً ألا إذا كان عادلاً، أي أن يعرف كيف يتوسط وكيف يساوي بين الأمور .

وكذلك الحكيم لا يصل إلى درجة الحكمة إلا إذا أقام العدل في مختلف معارفه فيبتعد عن السفه والبله.

وابن مسكويه يدرج ضمن " نزعة أسلمة الأخلاق اليونانية" ١٤٨،التي ظهرت في عصره،وذلك عندما يربط بين العدالة والشريعة، لأن" الشريعة تأمر بالعدالة أمراً كلياً،وليست تنحط إلى الجزئيات .... وبهذا النوع من العدل قامت السموات والأرض"١٤٩.

---

١٤٤ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص٣٧
١٤٥ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص٣٢
١٤٦ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ٣٨
١٤٧- مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص١٢٣
١٤٨ - الجابري ،محمد،العقل الأخلاقي العربي،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،٢٠٠١،ص٤١٠
١٤٩ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص١٤٢

ومواطن تواجد العدالة في نظر مسكويه هي: ١- قسمة الأموال والكرامات ، ٢- قسمة المعاملات الإرادية كالبيع والشراء ، ٣- قسمة الأشياء التي وقع فيها ظلم وتعدي.١٥٠؛ والشريعة هي التي ترسم في كل موطن من هذه المواطن للتوسط والاعتدال.

وتبدو نزعة مسكويه الاجتماعية في اعتباره أن الناس بطبعهم مدنيون، يتم عيشهم بالتعاون لأن بعضهم يخدم بعض...فهم يطلبون المكافأة المناسبة...ويكون الدينارهو المقوم والمسوي بينهما، فالدينار هوعدل ومتوسط استقامة ونظام ومناسبة صحيحة عادلة،و لذلك يستعان بالحاكم الذي هو عدل ناطق إذا لم يستقم الأمر بين الخصمين بالعدل الساكت١٥١.

وأضاف مسكويه موضعين يحققان العدالة وهما: العدل الساكت وهو الدينار ، والعدل الناطق وهو الحاكم، "أما الحاكم الأكبر من عند الله تبارك وتعالى ، والحاكم ناموس ثان من قبله، والدينار ناموس ثالث ؛ فناموس الله قدوة النواميس كلها"...١٥٢

وهو ما يؤدي الى استواء المعاملة بين أفراد المجتمع ، وبالتالي يتحقق العدل المدني

ولا يتحقق العدل إلا إذا وجد من يحفظ السنة وغيرها من وظائف الشرع وهو الإمام "وصناعته هي صناعة الملك الذي يقوم بحفظ الدين ومراتبه وأوامره وزواجره...وذلك ان الدين هو وضع الهي يسوق الناس باختيارهم الى السعادة القصوى ، والملك حرس للوضع الإلهي حافظ على الناس ما اخذوا به"١٥٣.

وبهذه العدالة التي تبعث فضائل النفس تحصل بها الأخلاق الكريمة فلا يظالم غيره في أفعاله. فمع ذلك، كان الأنسان اللبنة الأولى في الجماعة، إن صلح الفرد صلح المجتمع بجانب أنه خليفة في الأرض١٥٤. ثم إن العدالة تتناول أسماء الله وصفاته جلّ وعلا. فالعدالة لا تخرج عن الشريعة الإسلامية التي كانت لله ولا شك أن فيها مصلحة. ولم يذكر مسكويه حيث يفسر العدالة من القرآن إلا ذكر أن يقيم بين الناس العدل تحت الشريعة

---

[١٥٠] التكريتي، ناجي،فلسفة الأخلاق بين أرسطو و مسكويه،داردجلة ،عمان،الاردن،٢٠١٢،ص٩٨

[١٥١] المصدر نفسه ص٩٩

[١٥٢] - ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ،ص ٣٠١و ص ١٢٧ من التهذيب

[١٥٣] - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص١٥٤

[١٥٤] -- ابن مسكويه فلسفته الأخلاقية و مصادرها ، مصدر سابق ،ص٣٠٣

الإسلامية بما أرسل إلينا. فبهذه النتيجة، كانت العدالة حلّاً للمشكلات الاجتماعية وإذا اعتدلت النفس فصارت خلقه خلقاً كريماً ولها دور عظيم في مجتمعها .

القيم و الفضائل

علاقة الفضيلة بالمعرفة : يخوض مسكويه في إشكالية علاقة الفضيلة بالمعرفة،ويعالجها تحت عنوان " مسألة عويصة أولى"،وفيها ينحاز إلى موقف سقراط. فيرى أن الفضيلة معرفة. ويضع ابن مسكويه المسألة هكذا:"إذا كانت العدالة فعلاً اختيارياً يتعاطاه العادل، ويقصد به تحصيل الفضيلة لنفسه، والمحمدة من الناس، فيجب أن يكون الجور فعلاً اختياري ، يتعاطاه الجائر، ويقصد به تحصيل الرذيلة لنفسه، ومذمة الناس، ومن القبيح الشنيع أن يظن بالإنسان العاقل أنه يقصد الإضرار بنفسه بعد الروية، وعلى سبيل الاختيار" ١٥٥،يمكن أن نصيغ من هذه المقولة الإشكالية التالية: هل من المعقول أن يقترف الإنسان الرذيلة عن روية واختيار؟ ويؤيد مسكويه الإجابة التي يقترحها بعض الحكماء الذين" قالوا: إن من ارتكب فعلاً يؤد به إلى الضرر أو عذاب فإنه يكون ظالماً لنفسه،وضاراً لها، من حيث يقدر أنه ينفعها،وذلك لسوءاختياره،وترك مشاورة العقل فيه" ١٥٦.

و هكذا نجد مسكويه يضع الفضيلة في إطار عقلي ، فقبل الإقدام على الاختيار على الإنسان إعطاء الأولويه لمشورة العقل .

ويقد لنا أدلة لتوضيح موقفه،"فمثال لذلك:الحاسد، فإنه ربما جنى على نفسه، لا على سبيل الإضرار بها، بل لأنه يظن أنه ينفعها في العاجل بالخلاص من الأذى الذي يلحقه من الحسد"١٥٧.

والدليل الآخر هو أننا" نجد العاقل إذا تغيرت أحواله تلك فصار من الغضب إلى الرضا،ومن السُّكر إلى الإفاقة، تعجب من نفسه،وقال: ليت شعري كيف اخترت تلك الأفعال القبيحة؟ ويلحقه الندم،وإنما ذلك لأن القوة التي تهيج به تدعوه إلى ارتكاب فعل يظنه في تلك الحال

[١٥٥] - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ص ١٣٩
[١٥٦] - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق نفس الصفحة
[١٥٧] - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ص ١٣٩

صالحاً له، جميلاً به، لتتم له حركة القوة الهائجة به، فإذا سكن عنها،وراجع عقله رأى قبح ذلك الفعل وفساده"١٥٨. و اختصار هذا أن من إرتكب فعلا يؤذيه يكون ظالما لنفسه مثل الحسد يجني على فاعله ، و الغضب و الشهوة فمن يفعل ذلك يخالف أفعاله العادية لهذا يفضل أن يستأنس بالشريعة منذ الصبا ليكون سعيدا ١٥٩

فاللذة الإنفعالية تزول سريعاً أما اللذة العقلية الإلهية تجعل الإنسان سعيداً .

لزوم الشريعة في المعاملات: الشريعة هي التي تُقوم الأحداث ، فهو يوضح و يبين أثر الدين الإسلامي في اخلاق النُشئ١٦٠.

ثم إنّه قسم حال النفس إلى قسمين : **1**- طبيعي مثل الغضب

2- ما يكون بالعادة و التدريب.

يرى مسكويه ان الحال الأول يؤدي إلى نتائج سلبية ، أما التأديب و المواعظ فهي ترقي خلق الإنسان و هي أحوال تظهر من الطفولة .١٦١ مستعرضا آراء القدماء و الرواقيون في أن الناس يولدون أخيار ثم يصيرون أشرارا ، و رأي جالينوس: فيهم من هو خير و من هو شرير و من هو وسط. ١٦٢

على أن مراتب الناس في الخلق كثيرة تظهر في الأطفال منذ نشأتهم فإذا أهمل تأديبهم و تقويمهم نشأ كل إنسان على طبعه الطفولي من غضب أو سوء خلق أو شره ...الخ ١٦٣

الشريعة: هي التي تقوّم الأحداث و تعدّهم للفضائل و الحكمة و السعادة . يتحدث مسكويه عن دور الوالدين في تربية الأبناء و تعويدهم على الآداب الجملية بجملة من السياسات بدأها بالضرب إن دعت الحاجة ١٦٤. و هنا أختلف معه لن الضرب يضر الطفال و يسبب أمراض نفسية للمدى البعيد خصوصا إذا كان عنيفا و مستمرا و أضرار الضرب في

---

١٥٨ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ص ١٤٠
١٥٩ مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ١٤٠
١٦٠ - مرسي ،منير،التربية الاسلامية أصولها و تطورها في البلاد العربية ،دار المعارف،١٩٨٧،ص١٣٩
١٦١ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ٤١
١٦٢ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص٤٢
١٦٣ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ٤٣
١٦٤ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ٤٥

التربية أكثر من فوائده.

أما بالنسبة للإطماع في الكرامات و التحذير من العقوبات فهذا التعزيز الذي يقوي السلوك الجيد و يضعف السلوك السئ[١٦٥] ،فتعزيز السلوك يتضمن الحصول على مكافأة أو فائدة و من ناحية آخرى تجنب شيء غير مرغوب فيه [١٦٦]

ذَكر مسكويه أسباب الانقطاع عن الله : الزيـغ و الرين و الغشاوة و الختم أوردها مسكويه من الشريعة[١٦٧]. بحسب أفلاطون إذا حصل الإنسان العدالة أشرقت نفسه فهي لقب المتمسك بالشريعة و ايضا يرى الفضيلة فعل الخيرات لا ترك الشر و محبة الناس في بذل المعروف لا جمع المال، و عليه يتم وصف المتمسك بالشريعة عادلا [١٦٨].

و هنا نشير إلى رأيه في مسألة التفضيل فهو محمود جدا و هو زيادة ، و هو إحتياط يقع من صاحبه في العدالة ليأمن به وقوع نقص في شيء من شرائطها. فمن أعطى ماله لمن لا يستحق سمى مضيعا لا متفضلا، فالمتفضل يعطي من يستحق ما يستحق و زيادة، ليس من باب

التبذير بل بشرط العدالة. الشريعة تأمر بالعدالة : و المساوة في المعاملة و أو ل ما يجب على العاقل أن يعدل على نفسه ، ثم أصدقائه و أهله فإذا تمت فضيلة التأحد (الجميع كالشخص الواحد)تحصل المحبة و المودة[١٦٩]

٢- التوسط و الإعتدال فالناس مدنيون بالطبع فعيشهم لا يتم إلا بالتعاون و خدمة بعضهم لبعض، فإذا حدث خصام يستعان بالحاكم ليقيم الأمر، أرسطو يقول الدينار ناموس عادل و يقصد هنا بالناموس هو السياسة و التدبير[١٧٠]، ناموس الله هو قدوة النواميس كلها و الحاكم هو القدوة الثانية و الدينار هو الثالثة . و بهذا تتم المعاملات بين الناس فإذا تمت بالعدل كان العدل المدني الذي يعمر المدن، و الجور المدني تخرب به المدن[١٧١]، بحسب

[١٦٥] - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص٤٥
[١٦٦] -الخطيب ،جمال، تعديل السلوك الإنساني ،مكتبة الفلاح للنشر،الكويت،٢٠٠٣،ص١٨١
[١٦٧] -مسكويه ، التهذيب ، مرجع سابق ،ص١٣٦
[١٦٨] مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ١٣٧
[١٦٩] مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص١٤٢
[١٧٠] - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص١٢٧
[١٧١] مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ١٢٧

أرسطو الجور ثلاث منازل : **1**- الجائر العظم الذي لا يقبل الشريعة **2**- الذي لا يقبل قول الحاكم العادل **3**- لا يكتسب و يغتصب الأموال دون وجه حق ١٧٢ .

الإمام العادل : هو الذي يحفظ المساوة و لا يعطي ذاته أكثر من غيره. أسباب المضرات:

1- الشهوة التي تحمل الإنسان على الإضرار بغيره **2**- الشرارة تعمد إضرار الغير **3**- الخطأ قصد إيذاء الآخرين **4**- الشقاء ليس له قصد ،كمن تصدم دابته صديقه فتقتله و هذا

لاعتب عليه، أما السكران و الغضبان و الغيران يستحقون العقوبة لأنو أفعالهم منهم١٧٣ .

تقسيم العدالة بحسب أرسطو:ما يقوم به الناس لرب العالمين و هو بين الإنسان و خالقه بقدر طاقته،الثاني ما يقوم به الناس لبعض من أداء الحقوق و تعظيم الرؤساء و

المعاملات،و الثالث يقومون به من حقوق أسلافهم من أداء ديونهم و إنفاذ وصاياهم .ما يجب على الناس لخالقهم يختلف بحسب طبقات الناس فمنهم من يرى الالتزام بالصلوات و الصيام و منهم من رأى الإقرار بربوبيته و آخرون الإحسان للنفس و تزكيتها و منهم النهج بالفكر في الإلهيات.و بعض الحدث من الفلاسفة قال: الأول ما يجب على الجسم

من صلاة و صيام و الثاني ما يجب على النفوس و الثالث المعاملات و هذه الطرق تؤدي إلى الله ١٧٤ .

مقامات الإنسان عند الله: الموقنين وهو رتبة الحكماء و العلماء ، الثاني المحسنين ،الثالث البرار المصلحين خلفاء الله في إصلاح البلاد و العباد و الرابع مقام الفائزين و هو رتبة المخلصين في المحبة ١٧٥. اذا حصل الإنسان الحرص و النشاط و العلوم الحقيقية و الحياء من الجهل كانت من أسباب الإتصال. أسباب الإنقطاع عن الله الوقوع و المساقط ، الذي يستحق به الإعراض ثم المهانة ثم الحجاب ثم الطرد ثم الخسأة و يشقى العبد إذا حصل له الكسل و البطالة و ضياع الزمن ثم الغباوة ثم الوقاحة ثم الإستمرار بالقبائح دون

١٧٢- مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص١٢٨

١٧٣ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص١٢٩

١٧٤ مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ١٣٤

١٧٥ مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص ١٣٥

إنابة١٧٦ .

الفضيلة والوسط العدل:

الضابط غي إطلاق الفضيلة على أي سلوك أو أي عمل هو الاعتدال أو التوسط كما يراه المعلم الأول .

فمسكويه يقرر مثل أرسطو بأن الفضيلة وسط بين رذيلتين، فهو يرى أن كل فضيلة هي وسط بين رذائل١٧٧،

هذا الوسط الذي يكون الفضيلة يظهر من كلام مسكويه أنه ليس الوسط الذي نجده في الحساب مثلاً، فهو هدف صعب إصابته، كما أن التمسك به دائماً أصعب، يقول مسكويه:" ولهذاصعب جداً وجود هذا الوسط، ثم التمسك به بعد وجوده أصعب. لذلك قالت الحكماء: إصابة نقطة الهدف أعسر من العدول عنها ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطئها أعسر وأصعب"١٧٨.

بعد التعرف على رأي مسكويه في الوسط العدل، توضيح مدى تأثره في ذلك بالمعلم الأول أرسطو الذي كان يرى الفضيلة وسط عدل بين الرذائل، و هو وسط أعتباري و ليس وسط رياضي أي يعود إلى نسبة العقل في موازنة الفضيلة بلا إفراط و لا تفريط ١٧٩.

٣أنواع الفضيلة عند مسكويه:

من الواضح تأثر مسكويه بأرسطو في تقسيم الفضائل إلى فضائل نظرية وفضائل عمليةأخلاقية، بناء على تقسيم النفس الناطقة أو العقل إلى عقل نظري وعقل عملي.

1-الفضيلة النظرية أوالفضيلة الفلسفية: لقد رأى ابن مسكويه أن هناك فضيلة أخرى للنفس، بجانب الفضائل الأخلاقية، هي التشوق للمعارف والعلوم وطلبها كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

---

١٧٦ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق، ص١٣٠

١٧٧- مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ص٣٤

١٧٨ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق،ص٣٤

١٧٩ - تاريخ الفلسفة اليونانية ،مصدر سابق ص٢٢٤

و هذه القوى العالمة التي يشتاق بها غلى العلم فهي أن يصير في العلم بحيث يصدق نظره و تتطور بصيرته و يثق بالعلم و يطمئن به و فتذهب حيرته ١٨٠.

٢-الفضيلة الخلقية العملية:

على خلاف الفضائل النظرية، نجد مسكويه، يتحدث عن الفضائل الأخلاقية في كتابه تهذيب الأخلاق حديثاً مفصلاً ومُوضح . والسبب في ذلك هو أن غرض الكاتب هو غرض عملي .كما سبق وأشرنا إلى ذلك . أي السعادة العملية التي تترتب على الفضائل الخلقية وهذا ما صرح به في قوله:"غرضنا في هذا الكتاب، أن نحصل لأنفسنا خلقاً تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة"١٨١.

الفضيلة الخلقية تتعلق بالعقل العملي،وتحقق للإنسان التوفيق في تصرفاته مع غيره من بني جنسه،وهذه الفضائل تكتسب بالتربية والاعتياد ،وهي تتصل بكمال الإنسان القريب أو السعادة الأخلاقية وتمهد للوصول إلى السعادة القصوى.

والفضيلة الخلقية تعود في أصولها إلى الفضائل الأخلاقية الأربعة التي نجدها عند أفلاطون وهي: الحكمة،والشجاعة،والعفة،والفضيلة. وتعتبر أضدادها رذائل، فإذا كانت أمهات الفضائل أربعاً فإن كل منها يتضمن فضائل أخرى تندرج تحتها وتعتبر أجزاء منها١٨٢.

و عليه يترتب أن نجد أن لكل قوة من قوى النفس فضيلة خلقية تقابلها، فالقوة العاقلة فضيلتها الحكمة،والقوة الشهوانية فضيلتها العفة،والقوة الغضبية فضيلتها الشجاعة .وبانسجام هذه الفضائل الثلاثة واعتدالها تنتج الفضيلة الرابعة وهي فضيلة العدالة.

١٨٠- ابن مسكويه،السعادة،ط٢،(بقلم سيد علي السيوطي)،المطبعة العربية بمصر،مصر،١٩٢٨،ص٤٩

١٨١ - مسكويه تهذيب الأخلاق ، مصدر سابق ، مقدمة الكتاب ص٨

١٨٢ - كرم،يوسف،تاريخ الفلسفة اليونانية،مؤسسة هنداوي للنشر،مصر،٢٠١٢،ص١١٥